العدد ٨٩٦ — ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

حاضر الأدب العربي ... ... : للاستاذ أحمد حسن الزيات ٩٩٢

التشبيه في القرآن ... ... : « أحمد أحمد بدوي ٩٩٥

الغزالي وعلم النفس ... ... : « حمدي الحسيني ٩٩٩

انشاء اتحاد برلماني عربي ... ... : « أحمد بك رمزي ١٠٠١

كشاجم ... ... : « عبد الجواد الطيب ١٠٠٤

الفكاهة في شعر المتنبي ... ... : « أحمد حسن الرحيم ١٠٠٨

ليالي بغداد (قصيدة) ... ... : « محمد محمود زيتون ١٠١٠

يا وردتي (قصيدة) ... ... : « محمد محمود عماد ١٠١٠

(تعقيبات) — شاعرة مصرية تودع الحياة ١٠١١

(الأدباء والفنون في أسبوع) — عاصفة في المؤتمر الثقافي — محاضرات في المؤتمر ١٠١٤

(البريد الأدبي) — فكاهة — إلى الأستاذ عباس خضر ١٠١٧

(القصص) — قصة من دون عنوان — مترجمة عن تشيكوف — بقلم الأديب كارنيك جورج ١٠١٩

٣٥٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات

اعـــلان مناقصه

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكى بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليـــد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٥٠/١٠/٣١ عن توريد (عدد وخامات الجلود والأحذية لسنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١. ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة العامة المذكورة من مراقبة التوريدات بشارع صفيه زغلول (الانشا سابقا) بالقاهرة نظير دفع مبلغ ٢٠٠ مليما (مائتان) خلاف أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغه فئة ثلاثين مليما .

٥٧٣٤

18me : année No 896

LeCaire - 4 — 9 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٩٦ القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٦٩ — ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

حاضر الأدب العربى

الكلمة التى ألقيت فى المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالاسكندرية يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٠

سيداتى ، سادتى،

دعانى إلى الكلام فى حاضر الأدب العربى أمران : أولهما أن الأدب العربى هو الجامعة الروحية الحق للعرب جميعاً ؛ اتصل بها حبلهم حين تقطعت الأسباب، وانتظم عليها شملهم حين شتت الوحدة . ومزية هذه الجامعة أنها من وحى الله ومن صنع الطبيعة ، فلا يرمى من عقدها تناقض رأى ورأى ، ولا تعارض غاية وغاية . وفضيلة أعضائها أنهم كالأنبياء يبذرون لتعمر الأرض، ويبذرون ليحصد العالم ، ولا يؤثرون بجهدهم وطنا على وطن ، ولا يخصون بخيرهم قوما دون قوم .

لذلك كان من الخير أن يتحدث أعضاء هذه الجامعة بعضهم إلى بعض كلما واتتهم الفرصة لهذا الحديث

أما الأمر الآخر فهو سؤال من الأسئلة التى عرضتها الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية للاجابة عنها فى هذا المؤتمر، ونصه كما ورد فى الصفحة الثالثة عشرة من البرنامج :

« ماذا يجب أن تعمله المدرسة للتغلب على النزعة الأدبية والكلامية المنتشرة فى البلاد العربية ، ولإشاعة روح التفكير العلمى بين شباب العرب » ولست أدرى إلام يرمى هذا السؤال؟ أيرمى إلى قتل النزعة الأدبية فى الشباب ليصبحوا جميعاً أصحاب علم ورجال عمل ؟ وهل هناك تعارض بين الأدب والعلم فلا يجوز أن يكون للأديب من العلم ما يكسبه الضبط والدقة والوضوح، وأن يكون للعالم من الأدب ما يقيه المادية والثقل والجفاف ؟ أم يرمى إلى أن الأدب كلام وأن العلم عمل ، وشباب العرب وهم أحوج إلى النهوض المادى قد انصرفوا إلى الأدب عن العلم ، ولهوا بالقول عن الفعل ؟ إن كان ذلك ما يرمى اليه فان الواقع يخالفه . ولعل فى تهافت الطلاب على شعبتى العلوم والرياضة ما يدعو إلى التفكير فى مستقبل كليات الآداب والحقوق

على أن الكلام إذا كان ألفاظا فارغة كان غثاء وثرثرة ، فاذا كانت ألفاظه حافلة بما يمتع أو يقنع أو يفيد ، كان إنتاجه عملا مثمراً لا يقل خطراً عن صنع آلة أو اختراع قنبلة أو كشف دواء . ورجال الأدب الخليقون بهذه الإضافة أقل عدداً فى كل أمة من رجال العمل والمال والسياسة، ووظيفتهم وهى التفكير والتعبير أقوى أثراً فى رقى الأمم من وظائف أولئك جميعاً .

ومهما يكن من مرمى هذا السؤال فانه هو والأمر الأول قد حركا فى نفسى الكلام فى حاضر الأدب العربى عسى أن يكون له من عناية المؤتمر نصيب أكبر ، ومن رعاية رئيسه الأديب الوزير حظ أوفى

سيداتى ، سادتى ، حاضر الأدب العربى لا يطمئننا كثيراً على مستقبله. حظه من المنهج الحديث قليل . وهذه القلة نفسها

مشوفة بسوء الطريقة فى تعليمه ، وقلة الرغبة فى تعلمه ؛ فلا المعلم على الجملة صادق الجهاد فيما يعطى ، ولا المتعلم على العموم حسن الاستعداد لما يأخذ . والأثر المحتوم لهذا الحظ المنكود فى كمه وفى كيفه ، ضعف الملكة فيمن يكتبون ، وفساد الذوق فيمن يقرأون . وإذا ابتليت أمة بضعف الملكة فلا تحسن أن تعبر ، وبفساد الذوق فلا تعرف كيف تقدر ، أصبحت لغتها بينها أشبه بالرموز اللفظية البدائية ، لا تشعرها بجمال ، ولا تحفزها لكمال ، ولا تربطها بماض ، ولا تصلها بمستقبل

كانت علوم الأدب فيما مضى تدرس فى الأزهر وفى دار العلوم وفى مدرسة القضاء وفى مدرسة المعلمين العليا وفى أشباهها من معاهد لبنان وسورية والعراق دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ ، وفقه ما يعلم ، وتعليل ما ينقد ، وتحليل ما يذوق ؛ فاذا اتصل النظر بالعمل ، واقترن الحكم بالتطبيق ، وصادف ذلك استعداداً فى المتعلم ، نبغ الكاتب الذى يكتب عن علم ، والشاعر الذى ينظم عن فن ، والناقد الذى يحكم عن تصور . أما إذا قوى الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيى الوسائل ويقرب الموارد ويوجه المواهب ويسدد الخطى . ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر ، وتنمو لتنتشر ، وتسمو لتخلد وكان من خريجى هذا المنهج القديم فى التعليم ، أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة ، وجددوا شباب الأدب ، وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة . ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر . فاذا ما خلت أمكنتهم من المجتمع بعد أجل طويل أو قصير ، فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب ؟ ليس أمام الراصد الأدبى من الظواهر الواعدة ما يحمله على أن يجيب عن هذا السؤال بنعم . كل شىء يبعث على التشاؤم : منهج تطبيق يكاد يخلو من القواعد ، كما كان المنهج السابق نظريا يكاد يخلو من التطبيق . وتعليم سطحى مقتضب لا هدف له إلا اجتياز الامتحان بأية وسيلة ؛ فالمطولات تختصر ، والمختصرات تختزل ، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة . وزهادة فى الجدى النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد بالنشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع ، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة ، أو من شهادة إلى شهادة . فاذا ما تخرجوا عادوا كما بدأهم الله أميين لا يقرأون إذا قرأوا إلا السهل ، ولا يطلبون هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور ، أو فى مجلة فكاهية تثير الشهوة ، حتى نشأ من افراطهم فى هذا الطلب إفراط الكتاب الخفاف فى عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع ، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع . ذلكم إلى طغيان الأدب الأوربى بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين تثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ، ففتنهم عن أدبهم ، وصرفهم عن تاريخهم ، وزين فى قلوبهم أن الآداب الغربية من لوازم المدنية الحديثة ، فكما تركنا فى الأكل اليد إلى الشوكة والسكين ، وفى اللباس الجبة والقفطان إلى الجاكتة والبنطلون ، ينبغى أن نترك فى الكلام اللغة العربية وأدبها إلى اللغة الأوربية وأدبها ليقال إننا متمدنون تقدميون نحفظ هوجو ولا نحفظ المتنبى ، وندرس فلتير ولا ندرس الجاحظ ، ونقرأ لامرتين ولا نقرأ البديع ! ومن هنا نشأت هذه التبعية المعيبة التى فرضت على أدبنا لأدب الغرب ؛ فأساليب الشباب اليوم هى أساليب الكتابة فى الغرب ، ومذاهب الأدب اليوم هى مذاهب الأدب فى الغرب ، حتى الرمزية بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم ، يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ! وحتى الوجودية وليدة الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة ، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الانسان وفصلته عن سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل ، ولا يتحداها وهو مؤمن

ليس الأمر فى الأدب كالأمر فى العلم . الأدب للنفس والعلم للناس . الأدب مواطن والعلم لا وطن له . الأدب روح فى الجسم ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلا بنفسه ، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزاً بأفراده . الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد ، والعلم شىء غير أولئك كله . فاذا جاز طبعا أن نأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا

فى العلم ، فلا يجوز قطعا أن نرجع إلى هذا النير فيما يعثل نفسنا من الأدب

إن من أشد البلايا على الأدب الحاضر بليتين: العامية فى اللغة والعلمية فى الأسلوب . أما العامية فى اللغة فلو كان الغرض منها امداد الفصحى بما تزخر به لغة العامة من مصطلحات الحضارة وألفاظ الحياة العامة لقلنا نعم ونعام عين ، ولكن الغرض الذى ترمى اليه الثقافة الضحلة والدراسة السهلة هى أن يكتب الكاتب كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ، ولا قياس من صرف ، ولا نظام من بلاغة . ولم يعرف قبل اليوم فى تاريخ الآداب القديمة والحديثة من يعد فى لغته كاتبا أو شاعرا وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلمه . وإذا كنتم تقرأون الصحف والكتب ولا تقعون على الخطأ الذى يفضح المستور ويكشف الغش ، فالفضل لأولئك الجنود المجهولين الذين يرابطون ليل نهار فى دور النشر ويسمونهم المصححين ، فانهم يمرون بأقلامهم الحمر على المنسوج فيستقيم ، وعلى المعجم فيعرب ، وعلى التركيك فيقوى

وللعامية أنصار من بعض الكبراء الذين تعلموا فى قصورهم على المربيات وهؤلاء لهم نفوذ مقوق ، ومن أشباه المعلمين الذين يتولون تعليم العربية فى مدارس الأجانب وهؤلاء لهم توجيه صغار . حدثنى معلمة فاضلة أن أحد الأمراء رغب إليها فى أن تنظر فى تعليم ولديه ، وفى النهج الذى يدرسان عليه ، ثم تكتب له تقريرا بما ترى . فكان مما لاحظته المعلمة أن الولدين يتكلمان العربية باللهجة التركية ولا يعرفان من قواعدها الضرورية شيئاً . فلما كلمته فى ذلك ابتسم وقال لها ما نصه : « لا ، مش عاوز كلام أزهر ولا كلام أولاد بلد » . وحدثنى معلم فاضل عين مشرفا على امتحان النقل فى مدرسة أجنبية ، فلما أخذ يدقق فى أجوبة التلاميذ قال له المفتش وهو رجل عربى من رجال الدين المسيحى: « حسبك يا أستاذ ! إن تلاميذنا يتعلمون العربية ليتكلموا بها الخدم »!

وأما العلمية فى الأسلوب فلو كان الغرض منها اقتباس الروح العلمى فى تحديد الفكرة وتصحيح القياس وتدقيق العبارة ونبذ الفضول وتوخى الفائدة لقلنا نعم ونعام عين ؛ ولكنهم يقصدون بالعلمية بخس القيمة الجمالية للأسلوب ، وخفض المستوى الرفيع للبلاغة فيكون الكلام جاريا على نهج العلماء فى تأدية المعنى المراد فى اللفظ السهل ، أو على سنن التجار فى ضغط المعنى المحدد فى اللفظ المختزل ، ولا عليهم بعد ذلك من الروح الذى يبعث الحياة فى المعانى فتؤثر ، ولا من الفن الذى يلقى الألوان على الصور فتمتع ، ولا من الشعور الذى يشيع الهمس فى الجمل فتوحى

ان الأسلوب العلمى أسلوب من أساليب التعبير لا هو كلها ولا هو خيرها ؛ وانما هو أسلوب تقتضيه حال كما تقتضى غيره أحوال ؛ فالسعى لتغليبه على غيره من الأساليب مخالفة للطبيعة ومجافاة للطباع . والمعروف فى تاريخ الآداب أن المذاهب الأدبية والأساليب الفنية هى التى تتنافس فى الشيوع وتتفارس على البقاء؛ أما الأسلوب العلمى فله مجال آخر ورجال أخر : مجاله العلوم ورجاله العلماء . والعلوم والعلماء يتخذون من اللغة أداة ضرورية للفهم والافهام ، لا وسيلة كمالية للجمال والالهام ؛ فأساليبهم فى فن الكلام أشبه بالصور الجغرافية والخطوط البيانية فى فن الرسم: يقصد بها البيان لا الزخرف ، ويراد منها الحق لا الجمال . فاذا صح أن نقول للرسامين اقتلوا فى أنفسكم ملكة التصوير الجميل لتصبح رسومكم كلها جغرافية أو هندسية ، صح بالقياس أن نقول للكتاب اقتلوا فى أنفسكم ملكة التعبير الجميل لتصبح أساليبكم كلها علمية أو فلسفية .

سيداتى ، سادتى . هذه على الاجمال الخطوط البارزة فى صورة الأدب العربى الحاضر ، منها خطوط بيض تشرق عليها أشعة من أقلام الصفوة الباقية من رجال المدرسة القديمة والتابعين لهم بإحسان من الشباب المعتدل ؛ ومنها خطوط سود تحفق عليها ظلال من المستقبل الغامض يساعد على مدها تساهل المدرسة الحديثة والتابعين لها من الشباب المتطرف . فاذا تركنا الأمور تجرى كما تجرى انتهت بنا إلى تغلب العامية ، لأن أساليبها غالبة على السمع ، وقواعدها جارية مع الطبع ، فلا يحتاج تحصيلها إلى درس ، ولا النبوغ فيها إلى ملكة . وتغلب الأساليب العامية معناه فصل الأدب عن الدين ، وقطع الحاضر عن الماضى ، وتوهين الصلات بين العرب . وفى اعتقادى أن أمر العربية وأدبها لا يصلح إلا بما صلح به أوله : فقه اللغة جد الفقه ، وفهم قواعدها أشد الفهم ، وحفظ آدابها كل الحفظ . وذلك يستلزم الجهد والجد فى

اعداد للعلم ، والعلم والخبرة فى وضع المنهج ، وتوفير الزمن الأسبوعى لاستقصاء الدرس ، وتنظيم الامتحان العام على النحو الذى يخرّج ولا يخرّج

وما أظننى أعدو الصواب إذا قلت إن الثقافة العامة للشاب إنما توزن بالقدر الذى يحصله من ثقافة لغته . فإذا استطاع بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم ، ويكتب فيحسن ، استطاع أن يجد السبيل إلى كل علم والدليل إلى كل غاية . والمثقفون متى تركوا مقاعد الحياة المدرسية إلى مواقف الحياة العملية ، تبخر من رءوسهم أكثر ما تعلموه ، فلا يكاد يبقى من ثقافتهم إلا ما حذقوه من اللغات وما شدوه من الآداب ذلك إذا كانت ثقافتهم الأدبية ثابتة الأصول نامية الفروع ، فإذا كانت كغيرها من الثقافات الأخرى سطحية رخوة أتى عليها النسيان فيصبحون أميين فى المخطوط بعد أن كانوا أميين فى الخط

أمامكم الساسة والقادة والزعماء والعلماء والمصلحون فى كل أمة ، هل تغنى عنهم علومهم وعقولهم عند الناس شيئا إذا لم يملكوا ناصية البيان فيقنعوا إذا كتبوا ويؤثروا إذا خطبوا ؟ كلا يا سادة ! إن العالم من غير أدب معمل ساكن . وإن الزعيم من غير بيان تمثال صامت . وإن المصلح من غير بلاغ مصباح مطفأ .

سيدانى ، سادتى . لا بأس فى أن نيسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب ؛ ولكن البأس كله فى المدى الذى بلغه هذا التيسير . لا بأس فى أن نحذف الغث من التقديرات والتعليلات التى فلسف بها النحاة النحو ، ونبذ الأوجه الاعرابية التى بقيت فى اللغة أثراً من اختلاف اللهجات فى الجاهلية ، فبلبلت الألسن ، وهوشت القواعد ، وجعلت كل صواب خطأ وكل خطأ صوابا ؛ ولكن البأس كله فى أن نجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة لتصبح أشبه بالهيكل العظمى ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل واللحم والروح .

إن ما يبقى من هذه العلوم بعد النقصان ، وما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان ، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب . وإن استطاع يوما أن يجيز امتحانا أو ينيل شهادة ، فلن يستطيع أبداً أن يخرج أمثال من خرجهم الأزهر ، كمحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين والمنفلوطى والبشرى ، ولا أمثال من خرجتهم دار العلوم كجاويش والمهدى والخضرى والسكندرى والجارم ، ولا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء كأحمد أمين وعبد الوهاب عزام والخولى ، ولا أمثال من خرجتهم مدرسة المعلمين العليا كالمازنى وشكرى وأحمد زكى وفريد ابو حديد ، ولا أمثال من خرجتهم كتب الأزهر كالعقاد والرافعى وشوقى وحافظ فى مصر ، كاليستانيين واليازجيين والشدياق ومطران والخورى فى لبنان ، والمغربى وجبرى والطنطاوى والأفغانى فى سورية ، وكالرصافى والرهاوى وكاشف الغطاء والراوى والانرى فى العراق ، وكالنشاشيبى والسكاكينى وغيرهما فى فلسطين

هذه يا سادتى مخاوف ألقاها فى روعى ما أرى من ضيمة الأدب الحاضر بين تسامح القائمين عليه وزهادة الناشئين فيه ، والأمل فى عميد الأدب القائم عليه الآن فى مصر ، وفيكم يا حماة العربية ودعاة المروية فى كل قطر ، ألا يتحقق من هذه المخاوف شىء . ومناط هذا الأمل أنكم تؤمنون جميعاً بأن العربية هى عماد ثقافتنا ، ورباط جامعتنا ، وبأن أدبها هو التراث الروحى المشترك الذى يثور فى دمائنا فنهض ، ويصرخ فى آذاننا لنتحد ، ويشتد فى حداثنا لنلحق .

ان الأدباء فى كل أمة هم الذين يحملون شعلة الفن والفكر وينقلونها بالتتابع ، يسلمها السالف للخالف فيغذيها وينفخ فيها لتظل فى طريق الأبد باقية نامية هادية . وأدباؤنا الشيوخ وهم خريجو الماضى قد تسلموا شعلة الفكر العربى فى أواخر القرن التاسع عشر من أدباء لم تهيئهم ثقافتهم ولا حضارتهم ليمدوها بوقود من عصارة الذهن ولا بقبس من نور الوحى ، فكادت تنطفىء ؛ ولكن الله قد أتاح لأدبائنا الذاهبين من مواقاة الملكات وهيئو الوسائل ومعاونة الظروف واستكمال الأداة ما مكنهم من إذكاء هذه الشعلة ، فأوقدوها بالزيت والكهرباء ، وجلوا نورها السماوى فى بلور كالكوكب الدرى ، فتألق سناها وتنشر هداها . وهاهم أولاء يكادون يسلمونها لشباب الغد خريجى هذا الحاضر ، فليت شعرى ماذا تصنع بها الأحداث ، وماذا يخبىء لها القدر ؟

أنا بالرغم مما أتوجس من المخاوف متفائل ، لأن الله سبحانه الذى يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » قد ضمن للعرب بقاء البيان ببقاء القرآن . وفى هذه القلة البارة من أدباء الشباب فى أقطار العروبة نرجو أن يحقق الله وعده ، وان الله لهو خير الصادقين .

احمد حسن الزيات

التشبيه في القرآن

للاستاذ أحمد أحمد بدوي

— ٤ —

أول ما يسترعي النظر من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمد عناصره من الطبيعة ، وذلك هو سر خلوده ، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة ، وسر عمومه للناس جميعا ، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره ، ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم ، فلا تجد في القرآن تشبيها مصنوعا يدرك جماله فرد دون آخر ، ويتأثر به إنسان دون إنسان ، فليس فيه هذه التشبيهات المحلية الضيقة مثل تشبيه ابن المعتز :

كأن أذريونها والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب . فيها بقايا غالية

مما لا يستطيع أن يفهمه على وجهه ، ويعرف سر حسنه ، إلا من كان يعيش في مثل حياة ابن المعتز ، وله من أدوات الترف مثل أدواته .

تشبيهات القرآن تستمد عناصرها من الطبيعة . أنظر إليه يجد في السراب وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعاً ، فيغرهم مرآها ، ويمضون إلى السراب يظنونه ماء ، فيسعون إليه ، يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم ، ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم ، حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد ، فلا يجدون شيئاً مما كانوا يؤملون . إنه يجد في هذا السراب صورة قوية توضح أعمال الكفرة ، تظن مجدية نافعة ، وما هي بشيء ، فيقول : والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

ويجد في الحجارة تنبو على الجس ولا تلين ، ويشعر عندها المرء بالنبو والجسوة ، يجد فيها المثال الملموس لقسوة القلوب ، وبعدها عن أن تلين لجلال الحق ، وقوة منطق الصدق ، فيقول : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة » أولا ترى أن القسوة عندما تخطر بالذهن ، يخطر إلى جوارها الحجارة الجاسية القاسية ؟

ويجد في هذا الذي يعالج سكرات الموت ، فتدور عينه حول عواده في نظرات شاردة تائهة ، صورة تخطر بالذهن لدى رؤية هؤلاء الخائفين الفزعين من المضي إلى القتال وأخذهم بنصيب من أعباء الجهاد ، فيقول : « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم : هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا ، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » .

ويجد في الزرع وقد نبت ضئيلا ضعيفاً ثم لا يلبث ساقه أن يقوى ، بما ينبت حوله من البراعم ، فيشتد بها ساعده ، ويغلظ ، حتى يصبح بهجة الزارع وموضع اعجابه ، يجد في ذلك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب محمد ، فقد بدءوا قلة ضعافاً ثم أخذوا في الكثرة والنماء ، حتى اشتد ساعدهم ، وقوى عضدهم ، وصاروا قوة تملأ قلب محمد بهجة ، وقلب الكفار حقدا وغيظاً ، فقال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ... ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ويجد في أعجاز النخل المنقعر المقتلع عن مغرسه ، وفي الهشيم الضعيف الذاوي ، صورة قريبة من صورة هؤلاء الصرعى ، قد أرسلت عليهم ريح صرصر تنزعهم عن أماكنهم فألقوا على الأرض مصرعين هنا وهناك ، فيقول : « إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس ، كأنهم أعجاز نخل منقعر » ويقول : « إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر » .

فأنت في هذا تراه يتخذ الطبيعة ميداناً يقتبس منها صور تشبيهاته ، من نباتها وحيوانها وجمادها ، فما اتخذ مشبها به من نبات الأرض المرجون ، وأعجاز النخل ، والعصف المأكول ، والشجرة الطيبة ، والشجرة الخبيثة ، والحبة تنبت سبع سنابل ، وهشيم المحتظر ، والزرع الذي أخرج شطأه ، ومما اتخذ مشبها به من حيوانها الانسان في أحوال مختلفة والعنكبوت والحمار ،

والكلب ، والفراش ، والجراد ، والجمال ، والأنعام . ومما اتخذ مشبها به من جمادها المهن المنفوش ، والصيب ، والجبال ، والحجارة ، والرماد ، والياقوت ، والمرجان ، والخشب . ومن ذلك ترى أن القرآن لا يعنى بنفاسة المشبه به ، وإنما يعنى العناية كلها باقتراب الصورتين فى النفس ، وشدة وضوحها وتأثيرها .

هذا ولا يعكر على ما ذكرناه من استمداد القرآن عناصر التشبيه من الطبيعة ما جاء فيه من تشبيه نور الله بمصباح وصفه بأنه فى زجاجة كأنها كوكب درى ، لأن هذا المصباح قد تغير وتحول ؛ فإن المراد تشبيه نور الله بالمصباح القوى ، والمصباح باق ما بقى الإنسان فى حاجة إلى نور يبدد به ظلام الليل .

ومن خصائص التشبيه القرآنى ، أنه ليس عنصراً إضافياً فى الجملة ، ولكنه جزء أساسى لا يتم المعنى بدونه ، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه ، فعمله فى الجملة أنه يعطى الفكرة فى صورة واضحة مؤثرة ، فهو لا يمضى إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته ، ولكن التشبيه يأتى ضرورة فى الجملة ، يتطلبه المعنى ليصبح واضحاً قوياً ، وتأمل قوله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » ، تجد فكرة عدم سماعهم الحق وأنهم لا ينطقون به ، ولا ينظرون إلى الأدلة التى تهدى إليه ، إنما نقلها إليك التشبيه فى صورة قوية مؤثرة ، كما تدرك شدة الفزع والرهبة التى ألمت بهؤلاء الذين دعوا إلى الجهاد ، فلم يدفعهم إيمانهم إليه فى رضا وتسليم ، بل ملأ الخوف نفوسهم من أن يكون الموت مصيرهم ، تدرك ذلك من قوله سبحانه « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . وتفهم اضطراب المرأة وقلقها ، وعدم استقرارها على حال ، حتى لتصبح حياتها مليئة بالتعب والعناء — من قوله سبحانه : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل ، فتذروها كالمعلقة » . وتفهم مدى حب المشركين لآلهتهم من قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » . وهكذا تجد للتشبيه مكانه فى نقل الفكرة وتصويرها ، وقل أن يأتى التشبيه فى القرآن بعد أن تتضح الفكرة نوع وضوح كما فى قوله تعالى : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » وإذا أنت تدبرت أسلوب الآية الكريمة وجدت هذا التعبير أقوى من أن يقال : وإذ صار الجبل كأنه ظلة لما فى كلمة نتق من تصوير انتزاع الجبل من الأرض تصويراً يوحى إلى النفس بالرهبة والفزع ، ولما فى كلمة فوقهم من زيادة هذا التصوير الفزع وتأكيده فى النفس ، وذلك كله يمهد للتشبيه خير تمهيد ، حتى إذا جاء مكن للصورة فى النفس ، ووطد من أركانها . ومع ذلك ليس التشبيه فى الآية عملا إضافياً بل فيه إتمام المعنى وإكماله ، فهو يوحى بالإحاطة بهم ، وشمولهم ، والقرب منهم قرب الظلة من المستظل بها ، وفى ذلك ما يوحى بخوف سقوطه عليهم .

ومن خصائص التشبيه القرآنى دقته ، فهو يصف ويقيد حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة آخاذة ، وخذ مثلا لذلك قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » فقد يتراءى أنه يكفى فى التشبيه أن يقال : مثلهم كمثل الحمار الذى لا يعقل ، ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقاً والتحاما حين يقرن بين هؤلاء وقد حملوا التوراة ، فلم ينتفعوا بما فيها وبين الحمار يحمل أسفار العلم ولا يدرى مما ضمته شيئاً ، فتمام الصورتين يأتى من هذا القيد الذى جعل الصلة بينهما قوية وثيقة .

وقوله تعالى : « فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة » فربما بدا أنه يكفى فى تصوير إعراضهم بأنهم كالحمير ، ولكنه فى دقته لا يكتفى بذلك ، فهو يريد أن يصور نفرتهم من الدعوة ، وإسراعهم فى إبعاد أنفسهم عنها ، إسراعاً يمضون فيه على غير هدى ، فوصف الحمر بأنها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه يزيد فى هربها ونفارها أسد هصور يجرى خلفها ، فهى تتفرق فى كل مكان ، وتجرى غير مهتدية فى جريها . أو لا ترى فى صورة هذه الحمر وهى تجد فى هربها لا تلوى على شىء تبغى الفرار من أسد يجرى وراءها ، ما ينقل إليك صورة هؤلاء القوم معرضين عن التذكرة فارين أمام الدعوة لا يلوون على شىء ، سائرين على غير هدى ، ثم ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم والسخرية ؟

ومن ذلك وصفه الخشب بأنها مسندة فى قوله تعالى : « وإذا

رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » فهي ليست خشباً قائمة في أشجارها لما قد يكون لها من جمال في ذلك الوضع ، وليست موضوعة في جدار ، لأنها حينئذ تؤدي عملا ، وتشعر بمدى فائدتها ، وليست متخذاً منها أبواب ونوافذ لما فيها من الحسن والزخرف والجمال ، ولكنها خشب مسندة قد خلت من الجمال ، وتوحي بالغفلة والاستسلام والبلاهة .

ولم يكتف في تشبيه الجبال يوم القيامة بالعهن ، بل وصفه بالنفوش إذ قال : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ، للدقة في تصوير هشاشة الجبال ، كما لم يكتف في تشبيه الناس يخرجون يوم القيامة بأنهم كالجراد بل وصفه بالمنتشر ، فقال : « يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر » ، حتى يكون دقيقاً في تصوير هذه الجموع الحاشدة خارجة من أجدانها منتشرة في كل مكان تملأ الأفق ، ولا يتم هذا التصوير إلا بهذا الوصف الكاشف .

ومن خصائص التشبيه القرآني المقدرة الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموحية ، تجد ذلك في كل تشبيه قرآني ، وحسبي أن أشير هنا إلى بعض أمثلة هذا الاختيار .

تجد القرآن قد شبه بالجبال في موضعين فقال: « وهي تجري بهم في موج كالجبال » ، وقال: « ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام » ولكنك تراه قد آثر كلمة الجبال عند الموج لما أنها توحي بالضخامة والجلال معاً ، أما عند وصف السفن فقد آثر كلمة الأعلام جمع علم بمعنى جبل؛ وسر إيثارها هو أن الكلمة المشتركة بين عدة معان تتداعى هذه المعاني عند ذكر هذه الكلمة، ولما كان من معاني العلم ، الراية التي تستخدم للزينة والتجميل ، كان ذكر الأعلام محضراً إلى النفس هذا المعنى ، إلى جانب إحضارها صورة الجبال ، وكان إثارة هذا الخاطر ملحوظاً عند ذكر السفن الجارية فوق البحر ، تزين سطحه ، فكأنما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معا ، وفي كلمة الأعلام وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء . وشبه القرآن الموج في موضعين ، فقال : « وهي تجري بهم في موج كالجبال » وقال : « وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » وسر هذا التنويع أن الهدف في الآية الأولى يرمي إلى تصوير الموج عالياً ضخماً مما تستطيع كلمة الجبال أن توحي به إلى النفس ، أما الآية الثانية فتصف قوما يذكرون الله عند الشدة وينسونه لدى الرخاء ، ويصف موقفاً من مواقفهم كانوا فيه خائفين مرتاعين ، يركبون سفينة تتقاذفها الامواج ، ألا ترى أن الموج يكون أشد إرهاباً وأقوى تخويفاً ، إذا هو ارتفع حتى ظلل الرءوس ، هنالك يملأ الخوف القلوب ، وتذهل الرهبة النفوس، وتبلغ القلوب الحناجر، وفي تلك اللحظة يدعون الله مخلصين له الدين ، فلما كان المقام مقام رهبة وخوف ، كان وصف الموج بأنه كالظلل أدق في تصوير هذا المقام وأصدق . وعلى طريقة إيثار كلمة الأعلام على الجبال التي تحدثنا عنها آثر كلمة القصر على الشجر الضخم ، لأن الاشتراك في هذه الكلمة بين هذا المعنى ، ومعنى البيت الضخم يثير المعنيين في النفس معا فتزيد الفكرة عن ضخامة الشراع رسوخا في النفس . وآثر القرآن كلمة « بنيان» في قوله سبحانه: « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» لما تثيره في النفس من معنى الالتحام والاتصال والاجتماع القوي وغير ذلك من معان ترتبط بما ذكرناه ، مما لا يثار في النفس عند كلمة حائط أو جدار مثلا .

واختار القرآن كلمة « لباس » ، في قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن » ، لما توحي به تلك الكلمة من شدة الاحتياج كاحتياج المرء للباس ، يكون مصدر راحة وعنوان زينة معا .

ومن مميزات التشبيه القرآني أيضاً أن المشبه قد يكون واحداً ويشبه بأمرين أو أكثر ، لما لصلة تربط بين هذا الأمر وما يشبهه ، تثبيتاً للفكرة في النفس، أو لما لها من عدة زوايا ، ومن ذلك مثلا تصوير حيرة المنافقين واضطراب أمرهم ، فإن هذه الحيرة يشتد تصورها لدى النفس إذا هي استحضرت صورة هذا السارى قد أوقد ناراً تضيء طريقه فعرف أين يمشي ثم لم يلبث أن ذهب الضوء ، وشمل المكان ظلام دامس، لا يدري السائر فيه أين يضع قدمه ، ولا كيف يأخذ سبيله ، فهو يتخبط ولا يمشي خطوة حتى يرتد خطوات . أو إذا استحضرت صورة هذا السائر

الغزال وعلم النفس

للاستاذ حمدى الحسيني

الوجـــدان

-٤-

تحدثنا فى مقالنا السابق عن العلم أو المعرفة أو الادراك فى نظر الامام الجليل أبى حامد الغزالى وبينا ما عنده عن علم المعاملة وعلم المكاشفة أى المعرفة الشعورية واللاشعورية فظهر ماسماه بالعلم ظهوراً واضحاً وأضاء ما سماه إيماناً إضاءة جميلة وأشرق ما نعته باليقين إشراقا قويا باهراً ساحراً .

ونحن الآن نتحدث عن الوجدان أو ما يسميه الامام الغزالى بالحال . ولكننا نرى من الخير — قبل أن نبدأ بهذا — أن نذكر التعريف النفسى للوجدان لنستطيع المقابلة بينه وبين ماسنراه من قول الغزالى فى هذا الموضوع .

(يقول النفسيون إن الوجدان يطلق على ما نجده فى نفسك من لذة وألم يصحب الادراك أو النزوع ، فإذا ما حال حائل دون مسير أية عملية عقلية أو جسمية أو عاقها عن المضى فى سبيلها ، كان التأثر مصحوبا بالألم . إما إذا سارت فى طريقها حرة لا يعوقها عائق كان التأثر سروراً وارتياحاً .

وهذا الوجدان يصحب كل عملية عقلية كما يصحبها الادراك؛ فالوجدان يشمل اللذة والألم والفرح والحزن والغضب والندم ، وكل انفعال نفسانى ، كما يشمل العواطف أيضاً . وأنت الذى تتأثر بهذه العلاقة التى بينك وبين الشىء الذى تشعر به وتنفعل بتلك العلاقة) .

هذا ما يقوله علم النفس فى الوجدان الذى يسميه الغزالى الحال. ولنسمع الآن ما يقوله الغزالى عن الحال الذى يعرفه علم النفس بالوجدان .

يقول الغزالى فى تحليله لإحدى العمليات العقلية وهى التوبة ما يأتى : ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة : علم . وحال . وفعل . فالعلم الأول والحال الثانى . والفعل

تحت صيب من المطر قد صحبه ظلمات ورعد وبرق ، أما الرعد فتناه فى الشدة إلى درجة أنه يود اتقاءه بوضع إصابعه إذا استطاع فى أذنه ؛ وأما البرق فيكاد يخطف البصر ، وأما الظلمات المتراكمة فتحول بين السائر وبين الاهتداء إلى سواء السبيل . ونجد تمدد هذا التشبيه فى قوله سبحانه : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا... أو كصيب من السماء ... » . ومن النظر إلى الفكرة من عدة زوايا أنه حينا ينظر إلى أعمال الكافرين من ناحية أنها لا أثر لها ولا نتيجة فيرد إلى الذهن حينئذ هذا الرماد الدقيق لا يقوى على البقاء أمام ريح شديدة لا تهدأ حتى تبدأ لأنها فى يوم عاصف ، ألا ترى هذه الريح كفيلة بتبديد ذرات هذا الغبار شذر مذر ، وأنها لا تبقى عليه ولا تذر ، وكذلك أعمال الكافرين، لا تلبث أن تهب عليها ريح الكفر حتى تبددها ولا تبقى عليها ، وللتعبير عن ذلك جاء قوله سبحانه : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شىء ، ذلك هو الضلال البعيد » . وحينا ينظر إليها من ناحية أنها تغر أصحابها فيظنونها نافعة لهم ، مجدية عليهم ، حتى إذا جاءوا يوم القيامة لم يجدوا شيئا ، ألا ترى فى السراب هذا الأمل المطمع ذا النهاية المؤيسة ولأداء هذا المعنى قال تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » . وحينا ينظر إليها من ناحية ما يلم بصاحبها من اضطراب وفزع ، عندما يجد آماله فى أعماله قد انهارت . ألا تظلم الدنيا أمام عينيه ويتزلزل كيانه ويصبح كهذا الذى اكتنفه الظلام فى بحر قد تلاطمت أمواجه ، وأطبقت ظلمة السحاب على ظلمة الأمواج؟ ألا يشعر هذا الرجل بمصيره اليائس، وهلاكه المحتوم ؟ ألا يصور لك ذلك صورة هؤلاء الكفار عندما يجيئون إلى أعمالهم، فلا يجدون لها ثوابا ولا نفعا، ولتصوير ذلك جاء قوله سبحانه : « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج ، من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

الكلام بقية

أحمد أحمد بدوى

الثالث ، والأول موجب للثاني موجب للثالث إيجابا اقتضاه اطراد سنة الله . أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب فإذا عرف هذا معرفة محققة بيقين غالب على القلب ثار من هذه المعرفة تألم للقلب، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعثت من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل) .

ثم يقول في موضع آخر : (أن اللذة تابعة للادراكات . والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ، ولكل قوة وغريزة لذة، ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثاً ، بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور وهو مقتضاها بالطبع . فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام ، فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها . وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الأبصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالاضافة إلى مدركاتها) .

نرى في قول الامام الغزالي هذا صورة واضحة الأجزاء دقيقة التركيب متناسبة الأقسام تطابق في وضوح أجزائها ودقة تركيبها وتناسب أقسامها ، الصورة التي رسمها علم النفس للوجدان تمام التطابق . فقد عرف الغزالي هذه العلاقة الدقيقة العجيبة بين المعرفة والوجدان والنزوع ، وعرف أن العلم أو الايمان أو اليقين يثير الوجدان وأن هذا الوجدان قد يكون لذة وقد يكون الما وأن اللذة تجلب والألم يدفع وأن هذا الجلب وهذا الدفع هما النزوع، وأن هذا النزوع هو الايجابية والسلبية في السلوك وأن بين طيات هذه السلبية وهذه الايجابية السلوك العادي والسلوك الشاذ .

بل في هذين السلوكين الخير والشر والفضيلة والرذيلة والقوة والضعف والشجاعة والجبن ، بل في هذين السلوكين كل تاريخ البشرية من أقصى أزمنة التاريخ إلى أن تبيد الأرض ومن عليها.

هذا هو الوجدان أو الحال عند الغزالي . هو اللذة أو الألم يصحب الادراك أو المعرفة أو العلم أو يصحب النزوع أو الارادة أو العمل، وما دام الحال هو اللذة والألم عند الغزالي كما هو الوجدان عند علماء النفس المعاصرين بالضبط فمن الحق أن نعرف ما عند الغزالي عن الغرائز التي هي منابع الوجدان أو مسارح اللذة والألم لا سيما الغرائز القوية العريقة في القدم التي يحافظ بها الانسان على حياته وينافح بواسطتها دون بقائه .

نقف الآن قليلا لنشير إلى ما كنا ذكرناه في المقالات السابقة من أن نفسية الامام الغزالي كانت سلبية بكل ما في السلبية من معنى وها نحن اولاء نرى هذه السلبية واضحة في معرفته للغرائز البشرية ووصفه لها وتعليقه عليها ، فانه يقسم الغرائز إلى قسمين ، منجية من نار جهنم ومهلكة بهذه النار، فمن الغرائز المنجية من النار الخوف والخضوع والانقياد وما يتبع هذه الغرائز من الرغبات في الفقر والزهد والقناعة .

ومن الغرائز الغضب والتغلب والسيطرة وما ينشأ عنها من الرغبات في الانتقام وحب الجاه والمال والشهرة والمدح .

ونحن ذاكرون هنا طائفة من الغرائز على الترتيب الذي اتخذه لنفسه في ذكرها نرى أن الغزالي قد فهم الغرائز فهما علميا صحيحاً مع المعرفة بأنه أراد — كرب ديني عظيم — أن يستعملها في خدمة عقيدته الدينية القوية ويقينه الاسلامي المستولي على قلبه ولنسمع الآن ما يقوله عن غريزة الخوف التي جعلها من الغرائز المنجية من الهلاك ، يقول :

(إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال . فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحراق القلب وتألمه ، وذلك الاحراق هو الخوف، ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب إلى البدن بالنحول والاصفرار والغشية والزعقة والبكاء، وقد تنشق به المرارة فيفضي إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس) . أما فضل الخوف في نظر الغزالي كرب فلأنه قامع للشهوات ، يقول : لا تقمع الشهوات بشيء كما تقمع بنار الخوف ، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضله بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات .

ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف . وكيف لا يكون الخوف ذا فضل وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى . وأما غريزة الغضب فيصفها الغزالي بهذا الوصف الدقيق البديع البارع يقول : (إن الله تعالى خلق الحيوان معرضاً للفساد في داخل بدنه وأسباب

إنشاء اتحاد برلماني عربي على أسس جديدة

للاستاذ أحمد بك رمزي

مقدمة ونظرة عامة :

١ — المجالس النيابية والأنظمة البرلمانية من عمل الأوربيين ، وهي حديثة العهد في الشرق ، فإذا كانت قد نجحت في الغرب ، فإنا نرجو لها نجاحا مماثلا لدينا ، لأنه إذا ثبتت قواعدها ظهرت فعاليتها في أوساط الأمم العربية ، وأمكن أن تؤثر في تطورها ونجاحها . بل إن أمم العروبة في حاجة إلى هذه النظم لتحركها وتهزها وتشعرها برسالتها .

نشير إلى هذا بمناسبة ما توارد من مدينة دمشق عن التفكير الجدي في دعوة الاتحاد البرلماني العربي إلى الاجتماع ، وهي فكرة تستحق كل تقدير وتشجيع من المؤمنين بالأنظمة البرلمانية وتستدعي كل اهتمامهم لأن الديموقراطية لا تزال تسير في مراحلها الأولى ، بل إن بعض البلاد العربية والإمارات الصغيرة ليس لها أنظمة أو دساتير ، فالعرب في حاجة لمن يدعوهم إلى الأخذ بها . ولا تزال فكرة اشتراك الجماهير في حكم البلاد جديدة عندنا ، كما أن إعطاء المدن مسئولية حق التصرف في المرافق العامة وحاجيات السكان لا تزال محصورة في نطاق ضيق ، كذلك فكرة السير نحو تطبيق اللامركزية وتوزيع مسئولية الحكم بين الهيئات المختلفة من مجالس مديريات وبلديات لا تزال في دورها البدائي التحضيري ، ولا يمكن أن تستند أسس الحياة البرلمانية العربية على قواعد ثابتة وتتجه البلاد العربية نحو الديموقراطية الصحيحة قبل أن يتمرن السكان ويتدرب أهل القرى والبلاد والمدن على إدارة شئونهم المحلية أولا ثم يثبت في عقولهم وعي المراقبة والإشراف على المصالح القومية والمسائل العامة : كما نرى ذلك في البلاد الأخرى.

فالحياة البرلمانية يجب أن تقام على أسس اللامركزية التي يجب أن تأخذ بها البلاد العربية في سيرها نحو الحياة الديموقراطية

خارجية عنه) إلى أن قال (أما الأسباب الخارجية التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات ، فافتقر إلى قوة وهمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه ، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته . فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده ، اشتعلت نار الغضب وثارت به ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر ، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها ، وإما ينبسط الدم إذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه ، فإذا صدر الغضب على من فوقه وكان من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ، ولذلك يصفر اللون ، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومنافعها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشفي بعد وقوعها والانتقام قوة هذه القوة وشهوتها ، وفيه لذتها ولا تسكن إلا بها) .

هذا وصف الغزالي لغريزتي الخوف والغضب وهما من أقدم الغرائز وأقواها وأفعلها في حياة الفرد والجنس ، الأولى سلوكها سلبي والثانية سلوكها إيجابي وهو المقاتلة بنية الانتقام والتشفي وقد وضع الغزالي كل غريزة من هاتين الغريزتين الأساسيتين في موضوعها الطبيعي بالنسبة للحياة ، بل بالنسبة أن يستهدف الحياة.

ومن يستهدف الحياة مطلقة مجددة لا يطمئن إلا بالهرب من الأخطار والنجاة منها . وأما الغضب والمقاتلة فلا يخلو أمر الحياة معها من خطر مهلك ولهذا فقد وضع الغزالي هذه الغريزة على رأس الغرائز المهلكة .

ومهما يكن من أمر الغزالي في فهمه للحياة فإنه قد فهم الغرائز الحيوانية والطبائع الانسانية فهما صحيحاً دقيقاً كما رأينا .

محمد العسيني

الصحيحة .

يقظة الوعي الجماعي نحو الاتحاد العربي :

٢ — إن المحاولات التي تمت في السنوات الأخيرة بإيجاد هيئات اتحادية بين الدول العربية لا تزال في خطواتها التمهيدية وتعد جامعة الدول العربية خطوة أولى نحو هذا التعاون في الميدان الدولي الحكومي، وقد ظهرت بجانبها هيئات شعبية رأينا منها : منظمة الاتحاد العربي وجمعية الوحدة العربية ، وهي هيئات غير حكومية يقوم بها الأفراد وتتجه مع جامعة الدول العربية نحو إيجاد هذا التعاون والتفاهم المنشود الذي حلم به العرب منذ أكثر من ربع قرن .

الاتحاد البرلماني هادف من هدفات هذا الاتحاد

٣ — فقيام فكرة تأسيس اتحاد برلماني عربي فكرة وجيهة إذا قصد منها تقوية العمل الذي تقوم به جامعة الدول العربية وإذكاء الجهود التي تقوم بها الهيئات التي تمثل الناحية الشعبية الحرة بين الأمم العربية المختلفة . لأن قيمة أي نظام شعبي أو برلماني أو حكومي هي في مدى الجهود التي يبذلها لتحقيق نهضة هذه الأمم ونقلها من الحياة التي تعيش فيها إلى حياة القرن العشرين ثم في مقدار التأثير الذي يوجده هذا النظام في تحويل الشعوب وتركيز الجهود لجعل هذه المجموعة العربية ذات كيان حائز لاحترام وتقدير بقية العالم المتمدين وثقته فيها وإيمانه بأنها شعوب حية قادرة على حمل أعباء الاستقلال والسير به نحو البناء والنماء والتطور .

تكوين الاتحاد البرلماني العربي

٤ — ولهذا نرى من المبدأ أن يكون هذا الاتحاد ممثلا لبرلمانات البلاد العربية وهيئاتها النيابية ، وأن يكون أول أغراض هذا الاتحاد تحقيق التعاون والتفاهم في الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية رغبة في إيجاد نوع من التقارب والتكاتف بين الحكومات والشعوب والجماعات : وهذا مالم يتحقق للاسف. ولئن مجرد وجود فكرة عن تشجيع اجتماع عدد من النواب والشيوخ الممثلين لمختلف الشعوب العربية في هيئاتها البرلمانية من فترة لأخرى ونهوض هيئة إدارية ونوع من الرئاسة ومكتب دائم ، كل ذلك من شأنه أن يساعد في تكوين فكرة عملية واتجاه معين للتقريب بين وجهات النظر في الأوساط البرلمانية إذا أحسن القائمون بهذا الأمر سياستهم وابتعدوا من إثارة الشكوك القائمة بين الدول العربية ، ولم يشغلوا أنفسهم بانتزاع ما هو من صميم اختصاص الحكومات العربية وما هو من صميم عمل جامعة الدول العربية وميثاقها . وإلا فإن هذا الاتحاد إذا بدأ بالوقوع في الاخطاء التي وقع فيها غيره من المنظمات والهيئات كان أثره في يقظة هذه الشعوب ضعيفاً وغير ملموس كغيره من المنظمات التي أشرنا إليها . وفي مقدمتها جامعة الدول العربية .

وأجزم بأن عمل الحكومات العربية وعمل الجامعة العربية سيدعم هذا الاتحاد البرلماني العربي ويدفع به إلى الأمام إذا كانت أهدافه إنشائية أي حينما يشعر المثلون البرلمانيون بعظم الأمانة التي يحملونها ويقدرون أثر الحياة النيابية في رفع شأن البلاد العربية ودفعها نحو الرقي والتقدم كما قلنا .

٥ — إنني أتصور أن يكون في كل بلد عربي هيئة محلية للاتحاد البرلماني العربي يدخلها أعضاء المجالس النيابية من النواب والشيوخ بعد دفع اشتراكهم كأعضاء عاملين كما يجوز أن يدخلها كأعضاء منتسبين كل النواب والشيوخ السابقين ويجوز أن ينضم إلى هذه الهيئة ممثلو الأحزاب المختلفة والنقابات والهيئات المحلية التي تشتغل بشئون التجارة والصناعة والزراعة وهيئات العمال والجمعيات النسائية والجمعيات التي تعمل لكل غرض إنساني أو علمي . وهذه الهيئة البرلمانية المحلية هي التي تتصل بالهيئات المحلية من مثيلاتها في البلاد العربية الأخرى عن طريق المكتب الدائم ورئاسة الاتحاد البرلماني العربي.

وأجد في القاهرة خير مدينة عربية تكون فيها رئاسة الاتحاد البرلماني العربي ومجلس إدارته وسكرتاريته ، وأرى أن تدعو الرئاسة كل عام إلى مؤتمر للاتحاد البرلماني العربي يجتمع كل عام في إحدى العواصم العربية ويشترك في حضوره كافة أعضاء الهيئات المحلية بعدد لا يتجاوز خمسة عشر مندوبا من نواب وشيوخ كل بلد ويمكن أن ينضم إليهم خبراء وسكرتاريون ،

ولا مانع فى المستقبل من زيادة هذا العدد ، وأن يضم إليه أعضاء من الهيئات التى أشرت إليها أو من النواب السابقين بشرط ألا تنقص نسبة عدد النواب والشيوخ عن النصف دائما .

وأفضل أن تكون جلسات المؤتمر علنية وكذلك اجتماعات اللجان إلا إذا دعت المصلحة لغير ذلك .

إن مجلس إدارة الاتحاد البرلمانى هو الذى يدير أعمال الاتحاد ويقرر جدول أعمال المؤتمر ويضع التقرير السنوى وتقرير الميزانية ويراقب تنفيذها .

أهداف الاتحاد البرلمانى العربى

٦ — إن لكل حركة أهدافا معينة، ودعوة قائمة وإذا سارت فكرة الاتحاد البرلمانى العربى على طريقة المنظمات والهيئات التى تقدمتها أى بقيت فى نطاق السلبية أصبح عملها لا أهمية له وحكمت على نفسها بالجمود والأفضل عدم السير فى تكوين الاتحاد والاكتفاء بالحال التى نحن عليها . والسبب فى ذلك واضح وبين يتلخص فى أن علة هذه الهيئات هم الرجال الذين يسرعون الخطى لتصدر الحركات العامة واحتكارها لأنفسهم قبل نضوجهم النضوج الكافى وقبل تهيئة أنفسهم بالعلم الواسع والثقافة الكافيه لهذا العمل . فإذا اجتمع مؤتمر الاتحاد البرلمانى العربى تدافع فريق ممن يعتقد فى نفسه الكفاءة والقدرة والسياسة وبدأ بسماع عدد من الخطب المنبرية المحفوظة أو بعض المحاضرات الإنشائية التى تصلح لطلبة الثقافة أو إتمام الدراسة التوجيهية — ونقول إن المؤتمر درس المسألة المستعصاة فتكتب الجرائد ويصفق الأتباع والأنصار . إن مثل هذا العمل استمر أعواما يهدم فى كفايتنا منذ انتهت الحرب العالمية الثانية أى منذ سنة ١٩٤٥ .

٧ — إنى أسلم بأن المصلحة تقضى بأن تكون حركة الاتحاد البرلمانى العربى حركة تقدمية ترمى إلى تقوية أواصر المودة وإلى بذل النصيحة للبلاد العربية المتخلفة فى مضمار الحضارة والتى يكون عليها واجب إدخال الأنظمة النيابية والهيئات البلدية والإقليمية والاقناع بالأخذ بها بطريقة سهلة واضحة دون مساس بشئون الدول العربية الداخلية ودون إجحاف بحقوق الناس وإنما عملا بالنص القرآنى الكريم «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

أمام هذه الحقائق الثابتة وتحت نظرة إيجابية غير متأثرة بالعاطفة وضعت مشروعا لتنظيم الاتحاد البرلمانى العربى .

ميثاق الاتحاد البرلمانى العربى ٢٣ أغسطس ١٩٤٨

وليست هذه الفكرة جديدة على رجال العرب ، فقد قررت الهيئة التأسيسية التى اجتمعت بمدينة « صوفر » فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ ميثاقاً للاتحاد جاء فى إحدى عشر مادة كما اقرت نظاماً للمؤتمرات فى جلستها المنعقدة فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ والمطلع على المشروع الذى اقدمه اليوم يجد أنه لا يتعارض مع الميثاق ولا يغير فى نظام المؤتمرات .

وإنما يتجه اتجاهاً شعبياً فلا يتقيد بالقواعد الواردة فى أنظمة المؤتمرات البرلمانية الدولية وانما يعطى بجانب التمثيل البرلمانى العربى للاتحاد الحق فى تمثيل البلاد العربية التى لم تحصل على انظمة برلمانية تحت اشراف جامعة الدول العربية التى تبرز لأول مرة ممثلة فى الاجتماعات وقد أخذت بفكرة تمثيل الجماعات الشعبية مثل الأحزاب السياسية والجامعات والجمعيات السياسية والنسائية من نظام الاتحاد البرلمانى العربى لدول البلقان :

والقصد من توسيع دائرة التمثيل هو جعل الاتحاد البرلمانى العربى ممثلا لرغبات الشعوب العربية ولشتى نواحى التيارات الفكرية ولكى يتجه الاتحاد البرلمانى العربى إلى قيادة العالم العربى نحو الديمقراطية الصحيحة وتأكيد نظام اللامركزية والأخذ بقواعد استقلال سكان كل اقليم بادارة شئونه والعمل على جعل المدن العربية ممثلة بواسطة بلدياتها فى شئون العروبة العامة لحين يأتى الوقت الذى ينظم فيه اتحاد بين البلديات العربية بجانب الاتحاد البرلمانى العربى .

أحمد رمزى
المراقب العام لمصلحة التفتيش
التجارى والملكية الصناعية

« كشاجم »

— ٢ —

للاستاذ عبد الجواد الطيب

مُقدمة :

إذ شئنا أن نتحدث عن ثقافة الرجل والتمسناها فى المصادر التى تحدثت عنها ، لانجد إلا كلاما فيه كثير من التكرار والتهويل على طريقة القدامى فى النقد والتقريظ ، مثل الذى قال المسعودى فى مروج الذهب : وكان (أى كشاجم) من أهل العلم والرواية والمعرفة والأدب (١) فهذه أوصاف أربعة عامة منها اثنان متقاربان هما العلم والمعرفة ، وأما الأدب فلا مشاحة فيه ، والرواية إذا قصد بها الرواية للادب فقد لايكون فيها مشاحة كذلك . وأما إذا قصد بها رواية الحديث ، فانا نستطيع القول بأن كشاجم لم يكن محدثا ، أو حتى عالما مبرزا فى أى علم من علوم الدين ، اللهم إلا أن يكون ذلك هو القدر الذى يلزم تحصيله ولا يسلك به الشخص فى عداد العلماء . حقا إننا نجد فى شعر كشاجم إشارة إلى أنه سمع شيئا من الحديث ، وذلك يبدو فى مدحه لبعض العلماء :

إن سألناك عن حدود كتاب الله أوضحت مشكلات الحدود
أو سمعنا منك الحديث فاسنا دك لاباللواهى ولا المردود

وهذا البيت الأخير إن أفاد شيئا فانما يفيد أن الرجل قد سمع شيئا من الحديث ، ولكن لاينهض دليلا على أن كشاجم كان من رواة الحديث بالمعنى الصحيح .

ثم اليك هذه الألفاظ البراقة وتلك السجعات المتكافة التى نجدمثلها كثيرا فى تراجم الأدباء والعلماء: « كان رئيسا فى الكتابة ، ومقدما فى الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتميز به على نظرائه ، وتدقيق يربى به على اكفائه ، وتحديق فى علوم التنجيم أضرم فى شعلة ذكائه فهو الشاعر المفلق ، والنجم المتألق (١)

فأما عن الكتابة فنعم ، وأما الرياسة فيها فلاشك أنها محل نظر ، وأما الخطابة فما أظن أحدا قال بأن كشاجم كان خطيبا ولم نصلنا خطبة واحدة ولو قصيرة تثبت ذلك ، ثم إن ديوانه لايكاد يشير إلى هذا ولو فى بيت واحد مجرد إشارة اللهم إلا هذا البيت الذى يقوله ناصحا — فيما يبدو لبعض المتصلين به :

فرد الكتابة والخطابة والبلاغة والعبارة

وهذا لايقتضى أن يكون هو نفسه خطيبا وإن كان يستأنس به فى ذلك لوقد وجدنا فى شعره مايؤيده ، فنحن كثيرا مانجده يفتخر بشعره وكتابته وعلمه ولكنه لم يفخر مرة واحدة بخطابته

وقد نفهم البيت على أن به فخرا ضمنيا ، أو حتى فخرا صريحا بكتابته هو ، وخطابته وبلاغته ، ولكن على كل حال هذه هى الاشارة الوحيدة فى ديوانه كله وما قرأت له من شعر خارج الديوان

وبعد هذا لاأدرى ماهو التحقيق الذى يتميز به على نظرائه والتدقيق الذى يربى به على اكفائه . . . إلى آخر ماذكروا من هذه الأوصاف الفضفاضة ؟ !

وليس ببعيد عن هذا كثيرا مايحيكونه حول لقبه من قولهم كان من الشعراء المجيدين ، والفضلاء المبرزين . حتى قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها فالكاف للكتابة ، والشين من الشعر ، والألف من الإنشاء ، والجيم من الجدل ، والميم من المنطق » (١) وقولهم فى هذا المعنى تقريبا مع خلاف يسير : « لقب نفسه بكشاجم فسئل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب والشين عن شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم » وقد زاد على ذلك ابن العماد الحنبلى فى شذراته : « قال فى تثقيف اللسان : كشاجم لقب له جمعت أحرفه من صناعته ، ثم طلب علم الطب حتى برع فيه وصار أكبر علمه (كذا ! !) فزيد فى اسمه طاء من طبيب وقد مت فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر » .

وكل من كتب من المحدثين — عرضا فى كشاجم تابعوا القدامى فى ذلك دون أن يلفت نظرهم هذا الكلام؛ فينظروا فيه نظرة دقيقة فاحصة ، ولكن لعل عذرهم فى ذلك أنهم لم يفردوا بحثا خاصا لكشاجم ؛ وإنما جاء الحديث عنه فى غمار حديث عام بما لايحتمل

١ مروج الذهب ٤٧٢ . ٣ النسخة المخطوطة من الديوان ورقة ٤٢، ٤٣
١ ابن العماد الحنبلى

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٣ ٣٧ أثناء الكلام عن ٣٦٠هـ

الوقوف كثيرا عند كشاجم وحده .

وقد ذكر صاحب أعيان الشيعة من المحدثين إن كشاجم مأخوذ من أربع كلمات : كاتب شاعر ،منجم متكلم ، مجيد للاوصاف كلها لاعديل له فى عصره » (١) فهو يذكر أن كشاجم كاتب شاعر مع أنه هو نفسه لم يذكره فيمن ذكر من الكتاب وإن كان قد عده فى الشعراء ، فهو فى هذا أشبه بمن يناقض نفسه إلا أن يكون قد رأى أن كشاجم الكاتب ليس هنالك فأسقطه من عداد الكتاب ؛ وهذا شىء آخر ! !

بقى أن نقول إن هذه الأوصاف الأربعة : كاتب شاعر منجم متكلم لو سلمنا بها جدلا ، فقد كان يجب الوقوف عندها مادامت قد حددت بأربعة ومع هذا فقد يكون فيها مافيها، إذ لم يحدثنا أحد عن كشاجم كما لم يحدثنا هو عن نفسه أنه كان « متكلما » ومع ذلك فقد كان يجب الوقوف عند هذا الحد

ولكن الرجل يأبى إلا أن يكون كشاجم بعد هذا « مجيد للاوصاف كلها ؛ لاعديل له فى عصره » ! !

***

فلننظر إذن فى ثقافة الرجل فى شكل تعقيب على تحليلهم لهذا اللقب الذى قد حللوه على طريقهم مثل قولهم : الكاف من كاتب والشين من شاعر . . . إلى غير ذلك مما سبق الحديث عنه ، والافاضة فيه

فاما عن الكتابة فقد نظرت فى بعض كتب الإنشاء مثل صبح الأعشى فلم أجد لكشاجم الكاتب فيه ذكر بينما نراه يعرض رسائل بعض كتاب الدواوين القريبين من عصر كشاجم مثل ابن عبد كان، وابن الداية، كما نراه فى الاخوانيات ينقل الينا رسائل لابى الفرج البيغاء ـ المعاصر لكشاجم فى التهنئة بولاية عمل والتهنئة بالعودة من الحج ، وبالقدوم من السفر وبالصوم وبالعيد كما يثبت له رسائل فى التعازى والاستهداء والشكر . . . ولكن لم ترد إشارة ما إلى كشاجم الكاتب فى أى جزء من أجزاء الكتاب ؛ ومع هذا فصبح الأعشى لايهدف إلى إحصاء الكتاب فى كل عصر حتى يكون من المصادر الأساسية فى اثبات الكتابة لكشاجم أو نفيها عنه ، فاذا كان هذا الكتاب أو غيره لم يشر إلى كشاجم كاتبا ، فان جميع من ترجموا له صرحوا بأن الكتابة كانت شيئا بارزا عنده ، وربما لانقل فى ذلك عن الشعر ، وقد يستدل على هذا بأن ترجمته على ظهر ديوانه تبدأ بهذه العبارة التى تلفت النظر ، والتى لها دلالتها الخاصة . هو محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك الكاتب» ومثل ذلك ماقاله المسعودى: فأخبرنى أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندى ابن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم . . . فكل هذه إشارات لايصح إهمالها ولابد من تحقيقها . . . وإذا كان شعر الشاعر هو سجل حياته فمن الطبيعى أن يكون مصدرنا الأول الذى نهتدى بهديه ونسير على سننه :

يقول كشاجم فى سكين سرقت له :

ياقاتل الله كتاب الدواوين	مايستحلون من سرق السكاكين
لقددهانى لطيف منهم ختل	فى ذات حد كحد السيف مسنون
فابتز نيها ولم أشعر به عبثا	ولست لوساء فى ظن بمغبون (١)

قد يفهم من هذا أن الرجل من بين كتاب الدواوين هؤلاء الذين حصل منهم هذا العبث ، ولكن هذا مجرد احتمال يقلل من قيمته مايحتمل من أن هؤلاء الكتاب ربما كانوا مجرد أصدقاء ، وأن هذا العبث كان فى بيته مثلا أو فى مكان آخر غير الديوان .

ولكنا نراه فى موطن آخر يرثى غلاما له بهذه الأبيات

من لدراة كنت تعنى بها	عناية تعجز عنها العيون
تغدو مع الكتاب غلمانهم	وأغتدى وحدى وثالى قرين
فالدار والديوان من بعده	كرسم دار خف منها القطين (٢)

فهذا كلام يثبت أنه كان كاتبا بالفعل وأنه كان من كتاب الدواوين . واليك نصا آخر ينطق فى وضوح وجلاء بأن الرجل كان من كتاب الديوان فى مصر دانها :

قد كان شوقى إلى مصر يؤرقنى	والآن عدت وعادت مصر لى دارا
أغدو إلى الجيزة الفيحاء مصطحبا	طورا وطورا أرجى السير أطوارا
بينا أسامى رئيسا فى رئاسته	إذ رحت أحسب فى الحانات خمارا

(١) النسخة المخطوطة من الديوان ورقة ١٥١

(٢) نفس المرجع ورقة ١٥٥

١ أعيان الشيعة ١ ـ ٢٤٧

فللدواوين إصباحي ومنصرف إلى بيوت دعى يملن أوتارا (٣)

وهذا وقد عثرت فى ديوانه على نص صغير قد يمثل رسائله الاخوانية ، فقد ذكر فى ثنايا الديوان : وقال فى أبى الحسن الاسكافى ، وقد وجد به علة ، وقد أهدى اليه طيور حجل وكتب اليه رقعة نسختها : لم يدع منظوم هذه الرقعة لمنثورها حظا فى المعنى الذى اشتملت عليه ، وسيدى يقف على الأبيات فيتطول بتشريفى بما التمسته فيها ، وجعلتها سببا له ، إذ كان الغرض اسعافه بما لايزال يستدعيه ، ويرتاح له من لطيف المذاكرة والمفاكهة للادب الذى وفر الله من حظه وحبب اليه أهله ، لاأزال الله عنهم ظله ، ولا سلبهم سيادته ورياسته (١)

ولو قد صح أن تكون هذه الفقرة الصغيرة عنوانا لنثر كشاجم لغلمنا أن كتابته سهلة ، مرسلة ، سليمة من التعقيد ، خالية من السجع والبديع إلا ماجاء من ذلك عفوا ، ولكن هذا النص وحده ـ كبر أو صغر ـ لايكفى فى الواقع فى اثبات حكم أو نفيه ولهذا فمن حق البحث علينا أن نرجىء هذا الحكم حتى ندرس فيما بعد مايمكن أن تصل اليه يدنا من آثاره الأدبية النثرية الأخرى مثل كتاب « المصائد والمطارد » وكتاب « خصائص الطرب » وكتاب « أدب النديم » فان بعضها فى متناول اليد وبعضها الآخر لانعرف عنه إلا اسمه أو ماجاءنا من فقر وعبارات متناثرة فى بطون الكتب وأمهات المراجع .

أما عن الشعر فنحن نسلم بالمبدأ ، وهو شاعرية كشاجم ونرجىء الكلام المفصل عن هذه الشاعرية فى ذاتها ومقدار حظها من العمق أو السطحية ؛ ومن التقليد أو الاصالة ، ومن توفر الصدق الفنى أو عدم توفره ... لأن هذا كله جدير بالعناية الخاصة بعد الفراغ من هذه الفصول التمهيدية فى البحث .

أما مايختص بالحديث عن كشاجم المنجم ، فقد عده صاحب « أعيان الشيعة » ـ من المحدثين ـ من منجمى الشيعة ، ونقل ذلك عن كتاب معالم العلماء لابن شهر اشوب ، كما أن التراجم التى سردناها تكاد كلها تجمع على ذلك . ولاندرى مبلغ هذا القول من الصحة ، فقد يكون من قبيل التكثر والتزيد ، لاسيما أن كشاجم لم يترك فى هذا العلم أثرا ولم يؤلف فيه كتابا ولكن مهما يكن من شىء فان الرجل لابد وأن يكون قد ألم بشىء من ثقافة المنجمين ظهر أثره فى شعره :

قال يصف امطار لابا :

ومستدير كجرم الشمس مسطوح عن كل رائنة الأشكال مصفوح
ملء البنان وقد أوفت صفائحه على الأقاليم فى أقطارها الفيح
كأنما السمة الأفلاك محدقة بالنار والماء والأرضين والريح
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته بالشمس طورا وطورا بالمصابيح
فان مضت ساعة أو بعض ثانية عرفت ذاك بعلم فيه مشروع
وإن تعرض فى وقت تقدره لك التشكك جلاه بتصحيح
مميز فى قياسات النجوم به بين المشائم منها والمناجيح
وفى الدوائر من أشكاله حكم تنقيح العقل منها أى تنقيح
لايستقل لما فيه بمعرفة الحصيف اللطيف الحس والروح
حتى يرى الغيب فيه وهو منغلق الأبواب عمن سواه جد مفتوح
نتيجة الذهن والتفكير صوره ذوو العقول الصحيحات الراجيح

وقال يصف تخت الحساب والرمل :

وقلم مداده تراب فى صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والاضراب من غير أن يسود الكتاب
حتى يبين الخبر والصواب وليس إعجام ولا إضراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

وأما مانقل من أنه كان من المتكلمين ، ومن علماء الجدل والمنطق ؛ فهذا ملتمسه رغبة الوقوع على مايؤيده صراحة أو استنتاجا فلم أعثر عليه ، وقد تتبعت صلات الرجل فلم أجد نصا واحدا يؤيد أنه درس الجدل أو المنطق أو علم الكلام ، أو جلس من أحد الأعلام المشهورين فى هذه العلوم مجلس التلميذ من أستاذه ثم إنه لو كان له من ذلك حظ لانعكس فى شعره شأنه فى ذلك شأن النواحى الأخرى التى أخذ منها بطرف . فشعر الرجل لايعطينا ولو خيطا دقيقا يتعلق به القائلون بأن كشاجم كان له حظ من هذا النوع من الثقافة .

ولا يتغير الموقف كثيرا إزاء ماذكره بعض أصحاب التراجم

٣ ورقة ٦٤

١ الديوان ورقة ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٠ ، ٣٥

١ الديوان ورقة ٣١ ٢ نفس المراجع ورقة ١٦

من أن كشاجم طلب علم الطب حتى مهر فيه وصار أكبر علمه إذ لو كان ذلك كذلك لكان قد ترك لنا فى هذا العلم شيئا مما تركه العلماء فيما مهروا فيه من علم ، أو على الأقل قد كان يستطيع أن يخلد اسمه بين الأطباء الذين حمل الينا التاريخ أسماءهم وإن لم تصلنا آثارهم ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث؟ فهذا كتاب إخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطى يحدثنا عن بعض الأطباء المعاصرين لكشاجم مثل أبى الحسن بن كشكرايا (١) بينما لم يرد فيه ذكر لكشاجم. وهذا طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة يحدثنا عن كثير من الأطباء المعاصرين للرجل مثل أبى الحسن ابن كشكرايا هذا الذى قال عنه إنه كان طبيبا عالما مشهورا بالفضل والاتقان لصناعة الطب وجودة المزاولة لأعمالها وكان فى خدمة سيف الدولة بن حمدان (٢) ومثل البالس الذى « كان طبيبا فاضلا متميزا فى معرفة الأدوية المفردة وأفعالها ، وله من الكتب كتاب التكميل فى الأدوية المفردة ألفه لكافور الإخشيدى » (٣) ومثل أبى جعفر أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار (٤) . . . هذا ولم يرد ذكر لكشاجم بين هؤلاء جميعا . وكل ماهنالك أنه قد وردت إشارة اليه لا على أنه طبيب ، بل شاعر يثنى على هذا الطبيب أبى جعفر ويصف كتابه المعروف بزاد المسافر :

أبا جعفر أبقيت حيا وميتا ... مفاخر فى ظهر الزمان عظاما
رأيت على زاد المسافر عندنا ... من الناظرين العارفين زحاما
سأحمد أفعالا لأحمد لم تزل ... مواقعها عند الكرام كراما (١)

فكل مافى الأمر أن كشاجم ربما قد قرأ هذا الكتاب فألم بشىء منه. ثم إنه من المحتمل أن يكون قد عرف شيئا من هذا عن طريق تعارفه ببعض الأطباء الآخرين ممن مدحهم فى شعره ولكن ليس فى هذا مايدل على أنه مهر فى علم الطب حتى صار أكبر علمه !!

ثم اذا كان كشاجم قد حاول أن يعرف شيئا من الثقافات المختلفة فى عصره فهو ليس بدعا فى هذا وإنما شأنه شأن غيره من الكتاب الذين عاصروه أو تقدموا عصره بقليل فقد كانت الحياة تموج من من حولهم بألوان الثقافات الدينية والعقلية فى العصر العباسى الثانى مما ظهر أثره فى شعر الشعراء ونثر الكتاب فى حاضرة الخلافة أولا ، ثم فى الولايات الإسلامية المختلفة ، وقد كان ابن عبد كان كاتب أحمد بن طولون ، وأول كاتب ديوانى فى مصر من هذا الطراز من الكتاب . فنحن لا نغمط كشاجم حقه ، وإنما نود أن نقول انه واحد من هؤلاء الكتاب ، الذين كانت تفرض عليهم مهنتهم أن يتصلوا اتصالا مايختلف الثقافات

وهكذا نرى أن فى المسألة شيئا من المبالغة التى نجدها كثيرا عند القدامى من النقاد وأصحاب التراجم ، وهذا الطابع طابع المبالغة قد تأثر به كشاجم نفسه فهو الآخر يقول فى صديق له من الاطباء

الحمد لله قد وجدت أخا ... لست مدى الدهر مثله واجد
أسكن فى صحتى اليه فان ... مرضت كان الطبيب والعائد
طبا يعيا منجما جدلا ... يجمع منه الكثير فى واحد
ينظر فى الجزء والخطوط ولا ... ينتقد النطق مثله ناقد

وقد يقف هذا الموقف حتى من نفسه ولا ندرى أهو سذاجة أم غرور أم هو شىء بين بين أم انها المبالغة الأدبية لا أكثر

وما زلت أبغى العلم من حيث يبتغى ... وافتن فى أصنافه وتطرفه
فقد صرت لا ألقى الذى أستزيده ... ولا يذكر الشىء الذى لست أعرفه

وليت شعرى هل وقف الرجل على هذه الحكمة المأثورة لايزال الرجل عالما ماطلب العلم. فان ظن أنه قد علم فقد جهل؟

ولكن لعل فى هذا مايدل على أن الرجل كان يحاول كما قلت أن يأخذ من كل شىء بطرف وإن لم يصل فى الواقع فى شىء إلى القمة أو مايقرب منها .

عبد الجواد الطيب

١ إخبار العلماء ص ٢٦٣ ٢ طبقات الأطباء ١ ـ ٢٣٨ ٣ نفس المراجع ٢ ـ ٨٦ ٤ نفس المراجع ٢ ٣٧ طبقات الأطباء ٢ ـ ٣٨

اعلان

تعلن منطقة القاهرة الجنوبية التعليمية عن حاجتها إلى منازل لشغلها معاهد للتعليم بالأقسام الآتية :

السيدة زينب — الخليفة — الدرب الأحمر — عابدين — بولاق

فمن له رغبة فى تأجير منزله فليتقدم بطلب مصحوب بالرسم إلى حضرة صاحب العزة المراقب العام للمنطقة بعنوان (مكتب بريد البرلمان)

٥٧٦٢

«الفكاهة في شعر المتنبي»

للأستاذ أحمد حسن الرحيم

شعر الفكاهة في ديوان المتنبي نادر جداً ، وليس ذلك لأن أبا الطيب لا يحتاج إلى الترويح من النفس ، أو أنه لا يدرك مفارقات الحياة ، أو لا يحسن التعبير عنها ، بل لأنه ألزم نفسه أسلوباً جدياً صارماً فقضى عمره في كفاح عنيف متواصل يريد أن ينال لنفسه ما رسم لها من المناصب يأخذه غلاباً ويخوض له المهالك إن استطاع ، قال لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لأحبتي أن يملأوا بالصافيات الأكؤبا
وعليهم أن يبذلوا وعلي الا اشربا
حتى تكون البائرا ت السمهات فأطربا

وقال في رثاء جدته :

يقولون لي ما انت في كل بلدة وما تبتغي؟ ما ابتغي جل أن يسمى

أما منية المتنبي — كما كشف عنها في شعره — فهي ولاية يرأس بها الناس فتشبع نهمه للزعامة ، وقد ضن بها عليه الزمان وقتل قبل أن يبلغها .

فالفتى الذي أغرى الناس بالثورة منذ صغره وصمد — منفرداً — لدرس الكاشحين وخصوماتهم في بلاط سيف الدولة يعز على نفسه الطموح أن تنصرف — إلا نادراً — إلى اللهو والفكاهة قبل أن يحقق مأربه الفخمة . فهو فتى قل أن تجد بين الفتيان من له استكباره لنفسه وصلابة همته واحترامه لذاته

فهو شديد الميل إلى الجد ، يريد أن يكون ممدوحه متزناً وقوراً مهيباً؛ فقد ورد في ترجمة أبي القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الاصفهاني للمتنبي أنه صده عن مدح الوزير المهلبي (ما سمعه من تمادبه في السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ، وكان المتنبي مر النفس ، صعب الشكيمة ، حاداً مجداً (١)

وهو إذا ضحك فلا يريد أن يحمل ضحكه على فراغ القلب بل هو كتكشيرة الليث بداية شر وفتك

وجاهل غره في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم
اذا نظرت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

ومع كل هذا فلا يخلو ديوانه من شعر الفكاهة فقد قال وقد تاب بدر بن عمار من الشراب مرات عديدة ثم رجع اليه فرآه أبو الطيب يشرب فأنشد ارتجالا :

يا أيها الملك الذي ندماؤه شركاؤه في ملكه لا ملكه
في كل يوم بيننا دم كرمة لك توبة من توبة من سفكه

والصدق من شيم الكرام فتبنا امن الشراب تتوب أم من تركه

هذه الكياسة من الصفات التي حببته إلى نفوس الأمراء والملوك فقد مزج الدعابة بالمديح المتين : أصدقاء الأمير شركاء في ما يملك من ثروة يأخذون ما يريدون بلا منة ولا استحياء ، وهذه من سمات الكرم الأصيل . ثم ما أبرع أبا الطيب في قوله (لك توبة من توبة) فالمعنى الأصلي أنه نكص ومنعفت عزيمته فارتد عن توبته ولكن براعة المتنبي تأبى أن تقول هذا المعنى بهذا اللفظ القارص فتحايلت لابرازه بعودة أخرى؛ فالأمير لا يزال مستمرا في توبته ولكنه تائب عن التوبة . هذه المغالطة الفكهة حببية إلى كثير من النفوس ، ثم وسع له الفرصة ورفع عنه الحرج اذ مهد له الجواب في سؤاله : (أمن الشراب تتوب أم من تركه ؟) فمن اليسير المقبول أنه يقول الأمير : (بل من تركه)

ومن شعر الفكاهة قوله من قصيدة طويلة قالها عند ما أنقذ سيف الدولة أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي:

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى بنفسه بضمان النضار وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة فغن بكل فتى باسل

طرافة يصورها المتنبي لهذا الأسير ، فهو يضمن النضار لأعدائه ولكنه يعطي صدور القنا عوضه ، فياله من تعويض طريف . وعنهم الخيل يعودون بها غنيمة فجاءت الخيل — كما وعد — ولكنها تحمل الموت الزؤام بسنان (كل فتى باسل) .

ان المتنبي يجوز في شرعته أن يمكر الانسان بعدوه ويخلف وعده ولكنه يأبى هذا في الحب

١ شرح ديوان المتنبي للمرحوم البرقوقي ج ١ ص ب ب طبعة ٣٨

وهو ينحدر إلى السخرية الجارحة مخاطباً أعداء أبي وائل في قوله : —

خذوا ما أتاكم به واعذروا فان الغنيمة في العاجل
وان كان أعجبكم عاجكم فعودوا إلى حمص من قابل

فهو يزعم — ساخراً — ان ما نالوا من قتل وتدمير على يد سيف الدولة فذلك « إحسان » ومن شيم المحسنين أن يعتذروا عن قلة احسانهم ولو كان جسيما . فخذوا ما تيسر واعذروا . وإذا ارتضيتم صنيعنا هذا فهلموا الينا في العام المقبل إلى مثل ما غنمتم في هزيمتكم المنكرة .

وأنشد المتنبي أبا بكر الطائي فنام والمتنبي ينشد فقال : —

ان الفوافي لم تنمك وإنما عمقتك حتى صرت مالايوجد
وكأن أذنك فوك حين سمعتها وكأنها مما سكرت المرقد

ان البيت الثاني دعابة واعتذار إذ ألقى تبعة النوم على الشعر فقد حسبه كالأفيون الذي يجلب النوم ، أما البيت الأول وفيه « إن الفوافي عمقتك » فهو وخزة عميقة أملتها نفس المتنبي الثائرة وقد جمع المتنبي بين الهجوم والاعتذار في بيتين متتابعين .

ومن الفكاهة الجيدة قوله

بلغت بسيف الدولة النور رتبة ارت بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

صورة بديعة مضحكة حالة هذا الأحمق يبيت له سيف الدولة المكر فيحته على اللحاق بالمتنبي وهو منطلق لا ترى إلا عجاجته ليكشف ضعف هذا العاجز فيضحك من تقصيره ، صـــورة حسنة منظورة في منافسات الفرسان استعارها أبو الطيب لمباراة الشعراء فبلغ الغاية .

ومن الهكم والسخرية قوله وقد قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها « كوكتين » وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف .

قال : —

زعم المقيم « بكوتكين » بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبته مذ صرت من أبنائهم صارت قيودهم من الصفصاف

وقد ذكر هذين البيتين المرحوم البرقوقي في المستدرك من شعر المتنبي في آخر الجزء الثاني من طبعة سنة ١٩٣٠ فاذا صحت هذه الرواية فربما قالها بعد أن نجا من قيد هذا الهاشمي المتهم بنصبه على رأي المتنبي ولا يعقل أنه قالها وهو في قبضة الأسر فيضاعف من نكاله وآلامه .

وقال في صباه وقد رأى جرذاً مقتولاً : —

لقد أصبح الجرذ المستنير أسير المنايا صريع العطب
رماه الكناني والعامري وتلاه للوجه فعل العرب
كلا رجليه إنلا قتله فأيكما غل حر السلب
وأيكما كان من خلفه فان به عضة في الذنب

في وصف معركة الجرذ لفتات تدل على براعة التصوير ودقة التعبير ؛ فالجرذ مستنير أغار على العامري والكناني فخاب في حملته لأن بأس خصميه فوق ما قدر وقد تظاهرا عليه فقتلاه ، وتلاه للوجه كصنيع العرب في الوغى ، ولكن من منهما اقتدى بشاعر الفرسان عنترة العبسي ذاك الذي (يغشى الوغى ويعف عند المغنم) فتنازل لصاحبه عن حصته في السلب فقد انفرد بغنيمته شخص واحد .

ووصف المتنبي السلب بأنه (حر) لا عار على آخذه فهو من أسلاب الحرب يأخذه الغالب بكامل عزته وكبريائه ، ثم يتساءل المتنبي عن الذنب الذي فتك به بغتة فعضه من الذنب فلعل هذا أحذق بفن الحرب وأدخل في باب الشهامة الحربية لأنه لم يستعمل من السلاح خيراً مما ملك خصمه .

هـــذا المتنبي من شعراء القوة والدم في العالم قطبت الأحداث جبينه وألهبت نظراته الخصومات فلا يبتسم إلا لماما . وأحسب لو أنه نال بغيته لأنبسطت أساريره واولى شعر الفكاهة أكثر من هذه العناية ، والفن القوي يخلد مع كل غرض .

الحلة العراق — أحمد حسن الزيات
ليسانس بالأدب العربي

اعـــلان وتحذير

تعلن الست فاطمة عبد العزيز محمد نور من الطويله مركز طلخا غربية بأن ختمها كان محفوظا طرف أخيها خالد افندي عبد العزيز نور من مدة وقد تصرف بدون أذنها في تحرير عقد إيجار بأطيانها الحالي افندي حسن غازي من ديسط لمدة ثلاث سنوات بإيجار بخس وهي تخشى أن يكون قد استعمل ختمها في تصرفات أخرى وهي ليست مدينة لأحد ولو ظهرت أي أوراق بهذا الختم تكون لاغية ويعاقب حاملها وستجدد بدله باسم فاطمة عبد العزيز نور

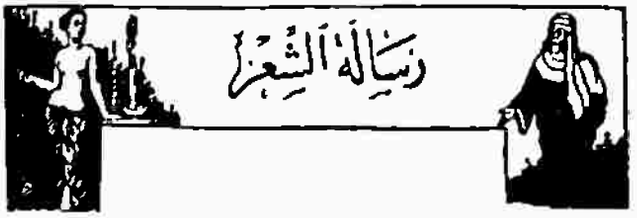

ليالي بغـــداد

للاستاذ محمد محمود زيتون

أين يا بغداد هاتيك الليالى
كالرؤى مرت سراعاً بالخيال
لم تعد بغداد عندى غير ذكرى
عصفت بالقلب لما جئت مصرا

* * *

أين أيامك يا (عقد النصارى)
أين فى الدهر لياليك العذارى
وأنا الهيمان ليلاً ونهارا
أقتفى ظل حبيبى أين سارا
أين يا بغداد هاتيك الليالى

* * *

لست أنسى ليلة الشط الجميل
هيمنا (دجلة) مذ ولى الأصيل
وضياء البدر كالتبر يسيل
وأرى الموج على الموج يميل
أين يا بغداد هاتيك الليالى

* * *

لست أنسى زورقاً فى النهر يجرى
وحنين الناى فى الجداف يسرى
تلك أحلام الصبا مرت بفكرى
هل درى الملاح سرى ؟.. لست أدرى
أين يا بغداد هاتيك الليالى

* * *

يا حبيبى عد بنا فالفجر لاح
والشذى الريان فى الأرجاء فاح
وانثنى الأيك بأطيار الصباح
هذه إحدى لياليه السلاح
أين يا بغداد هاتيك الليالى
كالرؤى مرت سراعاً بالخيال
لم تعد بغداد عندى غير ذكرى
عصفت بالقلب لما جئت مصرا

محمد محمود زيتون

يا وردتى

للاستاذ محمد محمود عماد

أريحك رف على جبهتى
وشعرك نام على راحتى
أتدرين أنك فى قبضتى ؟ !

* * *

أشاغل عرفاً رنا فى امتثال
وأرعى عهيدا هفا للوصال
وما زلت ظمآن .. ياوردتى !

* * *

فتنت ، وكان صباك السبب
وعجدت ربى .. فيا للعجب
تكون سلافتى من فتنتى !

* * *

شبيهك غازل زهر النجوم
وأرسل قبلته ... للغيوم
بنار .. وحقك . من قبلتى !

* * *

أناغيك والعشب من حولنا
يحن إلينا ... ويصغى لنا ...
ويحجب عنا الذى .. والتى .!

* * *

غصينك يا وردتى فى يدى
أميل عليه ... يميل على ...
أنا فى سماه ... فيا قوتى !

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

شاعرة مصرية تودع الحياة:

فى اليوم الثامن من نوفمبر عام ١٩٤٩ صدر عدد الرسالة الأسبوعى يحمل فى أول كلمة من تعقيباته « قصة الدموع التى شابت » ... وفى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم نقل إلى التليفون صوت الشاعرة (ن . ط . ع) حزيناً كالعهد به ، خافتا كأنما يأتى من بعيد ، قاتما كأنما تعكس نبراته لون شعور عاش فى الظلام : هل يتسع وقتك لأن أقرأ لك هذه القصيدة التى فرغت منها منذ دقائق ؟ تفضلى يا ناهد ! ... هل تعدنى بنشرها فى « الرسالة » يوم أن تتحدث عنى بعد الرحيل ؟ أعدك يا آنسة ! ... إذن فاستمع إلى ولا تعترض ، لأنها شعر غير موزون :

« جاء إلى الحياة والدمع فى عينيه ، ورحل عنها والدمع فى عينيه ... وتلك هى قصته : قصة الدمع الذى شاب والشعر فى سواد الليل ، والروح الذى اكتهل والعمر فى ربيع الأمل ، والزهر الذى صوح والعطر فى رياض الشباب !

من هو ؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريبا فى دنياه : همسة تنطلق من فجاج الصمت لتتلاشى فى سكون العدم ، ومضة تشع من وراء الأبد لتخبو فى ظلام اليأس ، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجى كل عابر سبيل !

يخيل إلى أنه لم يكن بشراً من البشر ... لقد كان روحا . روحا شرب من خمرة الأسى المعتقة فى دنان الشجن حتى ثمل ، وكأن الأيام حين طافت عليه بكئوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين ! وكان طيفا : طيفا شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير ، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه ، فكل تعزية فى حساب الشعور وهم لا يجدى وسلوة لا تحين !

تسألنى عنه ؟ لقد كان « قارئا » من قراء الرسالة ، حدثنى عن نفسه يوما فكتبت إليه ، رشكا إلى الحياة فأشفقت عليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا فى عالم الرؤى والطيوف ! كل ما بقى منه سطور رأيته من خلالها رأى الفكر ، وصورة رأيته من ظلالها رأى العين ... وما تستطيع يدى بعد اليوم أن تمتد إلى رسائله ، وما تستطيع عينى بعد اليوم أن تنظر إلى صورته . رباه ، إننى لا أخشى أن تحرقنى ناره إذا ما قرأت ، ولكننى أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعنى وهج نوره إذا ما نظرت ، ولكننى أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

ألا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حى إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك ، وحياة فى موكب الصفو تمضى وحياة فى موكب الشجو تقيم ، وكأس مزاجها الشهد للسكارى وليس فيها للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... ونداى ... ويتامى ... وفرحة يهتز منها شعور وحرقة تلتهب منها صدور ، ويا جرعة الصبر فى قلوب الصابرين ما أعمق مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن فى التراب أكواباً من العزاء !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معانى الغير : فى كلماتها كم شهدت مصرع الفكر ، وفى زفراتها كم شممت رائحة الموت ، وفى أناتها كم سمعت صوت النعاة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوما على وقع أقدام المشيعين !

من حمرة الشفق حيث طويت الشمس الغاربة ، يصطبغ اليوم وجدانى وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل ما فيها خواء يبعث على الشكوى ويغرى بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل فى شفائه : مبضعى الذى ينقش عن مكامن الداء قلم ، ودوائى الذى يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملكه ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العباب والضباب إلى شواطىء الفناء !

يقولون : الورد شوك يخون
خداع لعمرى الذى يزعمون
سوى الورد . لم ألق فى جنتى

محمد محمود عماد

رباه، لقد كنت رحيما به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق ما يحمل طوق الأحياء من عبادك » !

وسكت الصوت المتهدج لحظات ... ثم انطلقت صاحبته تقول : « هذه هي القصيدة التي فرغت منها منذ دقائق ، ثم أعدت قراءتها عليك ... إنها من كلماتك أنت ، ولكن قلمك قد استمد موضوعها من حياتي : الدموع التي شابت ، والزهر الذي صوح ، والروح الذي ا كتهل ، والإنسانة التي لا يعرفها أحد وعاشت في دنياها غريبة ، وهذا الوجود الذي يبدو لعينها دائما وكأنه مأتم كبير ، وهذه التعزية التي تقدمها إلى في التليفون كلما شكوت إليك الحياة ، وهذه الرسائل التي حملت إليك ألف معنى من معاني الغير ؛ كل هذه الأشياء التي خرجت بها من أحاديثي إليك قد سطرتها اليوم على صفحات الرسالة . . . وكأني بك قد نفضت يديك من كل أمل في أن تحبب إلى الحياة ، فرحت تخصني بهذا الرثاء الصادق قبل الموعد المنتظر؛ الموعد الذي طالما قلت لك عنه إنني أترقبه في الغد القريب » !

ومرة أخرى سكت الصوت المتهدج لحظات ... وغمرت شعوري موجة من الأسى وأنا أجيبها في تأثر عميق : « الحق يا ناهد أنني لم أستمد موضوع كلمتي من حياتك ، وإنما كانت هناك حياة أخرى هي التي أوحت إلي ما كتبت ... وما أكثر الذين يشكون إلى الحياة في قصص تفيض بالدمع ، وتتشابه في قصتك وقصصهم ألوان من الحقائق النفسية . حسبك يا آنسة أن تقرأي هذه القصة لتعلمي أنك لا تقفين وحدك في زحمة الوجود متفردة بالمزاج القاتم والطبع الحزين، إن لك هناك أشباها ونظائر ، تتمثل لهم الدنيا من وراء المنظار الأسود وهي غارقة في الظلام ! لو رفعت هذا المنظار عن عينيك وأنت تقرأين هذه القصة لشعت منها في روحك ومضات العزاء ، ولكنك تأبين الا تنظري من خلال ضبابه إلى كل شيء ... إلى الحياة التي تبدو لعينيك مظلمة وهي مشرقة ، عابسة وهي ضاحكة ، حافلة بأشواك اليأس وهي ملأى بزهور الأمل » !

وقالت قبل أن تنهي الحديث وتلقي بسماعة التليفون : «أقسم لك أنني أشعر شعوراً خفياً بأنني لن أعيش ، لأن الحياة لا يمكن أن تحتمل فتاة من هذا الطراز ... لقد كانت « قصة الدموع التي شابت » أشبه بمرآة صافية وقفت أمامها طويلا لأرى نفسي ... وسواء قصدتني بها أم لم تقصد ، فإنني سأضعها داخل إطار يضم صوري الحقيقية التي يجهلها أقرب الناس إلي وتعلمها أنت ... أنت الذي شكوت إليك آلامي فلقيت منك عطف الأخ الشقيق وعرضت عليك شعوري فلم تبخل علي بنصحك وتشجيعك ... إن في هذا كله عزاء أي عزاء ، ولكنني أقسم لك مرة أخرى أن الشعور بأن مقامي في هذه الحياة قصير ، حقيقة نفسية ترسب في أعماق رسوب الإيمان بالله ... مهما يكن من شيء فسأذكرك دائما بوعدك ، وهو أن تنشر « قصة الدموع التي شابت » في يوم من الأيام » !!

وماتت ناهد طه عبد البر ... وكأنما كانت تخترق بشعورها المرهف حجب الغيب، وتنفذ بوعيها الباطن إلى ما وراء المجهول... ماتت دون أن تظفر من أحلام دنياها بغير هذا الحلم الصغير ، وهو أن ترى بقصة الدموع التي شابت وهي في رحاب السكون والعدم ! —

* * *

نشأت ناهد في أسرة كريمة ، محافظة ، ترعى حقوق الخلق وتتمسك بمعاني الفضيلة ... ومن هذا الجو الذي عاشت فيه ، جو التقاليد الصارمة والمثل المفروضة والقيم الموروثة ، لم تستطع أن تواجه الحياة والناس بشيء من الشجاعة يتيح لنفسها أن تتنفس كما يريد . . كانت تخشى لقاء الحياة وتشفق على نفسها من ألسنة الناس ، لأن المجتمع المصري في رأيها لم يبلغ من النضج الخلقي ما يجعلها تثق به وتطمئن إليه ! من هنا عاشت في عزلة ، عزلة مريرة قاسية فرضتها عليها ظروف التربية وطبيعة النشأة ، عزلة طبعت آثارها النفسية القاتمة في أول كلمة بعثت بها إلى ونشرت في الرسالة تحت هذا العنوان : « شاعرة حائرة تسأل عن الفن والحياة» . كان ذلك في العدد الصادر بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٤٩ ومن كلماتها تلك تستطيع أن تلمس صدق اللوعة وهي تتحدث إلى عن ظلم التقاليد ، هذا الظلم الذي حال بينها وبين التعليم الجامعي الذي كانت تتطلع إليه ، وحرمها فرصة الاتصال بالمجتمع الذي لم تعرفه إلا من طريق الصحف والكتب والخيال !

ولا تعجب إذا قلت لك إن هـذه الشاعرة الراحلة قد بلغت من الانطواء على النفس ذلك الحد الذى لم تطق معه أن يعرف اسمها أحد أو يرى وجهها انسان ، اللهم إلا هؤلاء الذين كانت تثق بهم وتلجأ إليهم فى سبيل شىء من العون أو أشياء من العزاء ... ولقد كان كاتب هذه السطور يعلم من أسرار حياتها ما لم يتح للآخرين أن يطلعوا عليه ، لأنه كان موضع ثقتها فى كثير من الأمور . ومع ذلك فهو لم يرها رأى العين فى يوم من الأيام لأن لذلك قصة ستعلمها بعد سطور ... قصة تطلعك على مدى خشيتها من الناس وكلام الناس ، ومدى حرصها على أن تظل بمنأى عن كل ما يثيره من حولها الظنون والشبهات! قالت لى يوما فى حديثها التليفونى الذى كان يطرق سمعى كل صباح : « لقد أذنت لى منذ شهور فى أن أضع مستقبلى الأدبى بين يديك وأشهد لقد أخذت بيدى رفعات من أجلى الكثير : فتحت لى أبواب « الرسالة » و « الأهرام » فقرأ الناس شعرى هنا وهناك ، ويا لها من أبواب أمل كانت موصدة فتجدد بفتحها كل رجاء ... والآن لم يبق لى عندك غير أمنية واحدة ، وهى أن تكتب مقدمة ديوانى الذى أريد أن أدفع به إلى أيدى القراء ». وسكتت قليلا ثم قالت : « لقد كنت أزور الدكتور طه حسين منذ يومين ، ومع أنه كما قلت لك غير مرة يعطف على عطف الوالد على ابنته ، فقد خشيت أن أشق عليه إذا ما عرضت عليه هـذه الرغبة التى عرضتها عليك ... ومن هنا خطر لى أن ألقاك أنت لأقدم إليك مجموعة شعرى كاملة قبل أن تقدم لها بما شئت من كلمات ».

وتوقفت لحظات قبل أن أقول لها وعلى شفتى ظل ابتسامة : « إننى أعلم يا ناهد أن لقاءك للدكتور طه لم تسمح به طبيعتك النفسية إلا لسبب واحد ، وهو اطمئنانك إلى أن أحدا لن يظن بك الظنون إذا ما جلست إلى أديب قد بلغ مرحلة الكهولة وتخطى الستين ... أما أنا فأخشى إذا ما علمت حقيقة سنى أن تحذفى من قائمة أمانيك هذه الأمنية الأخيرة ، لأننى يا أختاه لم أبلغ الثلاثين بعد » ! .. وهتفت فى صوت امتزجت فى نبراته الدهشة الخالصة بالأسف البالغ : ماذا ؟ لم تبلغ الثلاثين بعد يا لله ، ماذا كان يمكن أن يقول الناس لو أنك كتبت هذه المقدمة؟ أنت بالذات ؟ إن كلمة واحدة تنطلق من لسان جاهل بحقيقتى الخلقية لكفيلة بأن توردنى موارد الهلاك ... أقسم لك أننى ما فكرت فى لقائك إلا لاعتقادى بأنك فى سن الدكتور طه حسين ! هل تغفرلى إعفاءك من كتابة هذه الكلمة التى ان تعفينى من كلام الناس » ؟

وراحت الشاعرة القديسة تعتذر الى ، معللة عن رغبتها فى أن تلقى الأستاذ الزيات ليحل ثلمه عمل قلمى فى تقديم شعرها إلى القراء ... ومهدت لها سبيل اللقاء حتى تم ، وكان الأستاذ صاحب الرسالة ثانى اثنين رأتهما هى رأى العين قبل أن تودع دنيا الأحياء لتعيش فى جوار الله !

لقد عاشت حزينة وماتت حزينة .. هى التى كانت تسكن البيت الأنيق فى حى من أجمل أحياء القاهرة ، وتعيش فى ظل أسرة هيأت لها من رغد العيش وطيب المقام ما لم يتح لكثير من الفتيات ! ولقد كانت العزلة سبباً من أسباب حزنها بلا مراء ، ولكنها لم تكن السبب الأصيل لهذا الألم الدفين الذى أحال حياتها إلى أقباس من العذاب ، وانعكس على شعرها لوعة وشكاة وأمسك القلم عن أن أحدثك عن سر حزنها الحقيق ، لأنها الآن تشفق على حرمة ذكراها من كلام الناس !

وأشهد لكم وقفت منهـا موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل فى شفائه : مبضعى الذى يفتش عن مكامن الداء قلم ، ودوائى الذى يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملكه .. أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يخر العباب والضباب إلى شواطىء الفناء!!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

عاصفة في المؤتمر الثقافي :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى ما حدث في جلسة افتتاح المؤتمر العربي الثاني عندما وصل برنامج الجلسة إلى مناقشة جدول أعمال المؤتمر ، إذ قامت حملة عنيفة على الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية التي نظمت هذا الجدول ، ولم يسمح المقام وضيق الوقت بتفصيل ذلك في العدد الماضي .

بدأ نذير هذه الحملة عند ما كان الدكتور أحمد أمين بك يلقي كلمته طالباً الشروع في تأليف لجان المؤتمر ، إذ قاطعه الأستاذ محمد جبر قائلا إنه يجب أن يناقش جدول الأعمال قبل كل شيء ، وكان الواقف على ملابسات الحال يلمح في جو المؤتمر سحباً توشك أن تمطر ... وقد بدأ هذا الامطار بكلمة ألقاها الأستاذ محمد سعيد العريان قال فيها إن جدول الأعمال المعروض ليس هو الذي كان معداً من قبل ، وإن المؤتمر بناء على ذلك سينظر في غير ما حضر له ، وأسند هذا إلى أن الإدارة الثقافية تستبد بالعمل دون الرجوع إلى الحكومات العربية ووزارات معارفها ، وذهب إلى أن هذه الادارة لا تمثل الدول التي ينعقد المؤتمر باسمها فليس لها أن تفرض عليها موضوعات معينة ! واقترح تأليف مكتب دائم للمؤتمر تمثل فيه الحكومات العربية لينظم شئونه وأعماله .

وتكلم بعد الأستاذ العريان الأستاذ جبر ، فانتقد موضوع « التوسع في التعليم الثانوي والعالي » واقترح موضوعا آخر هو « فلسفة التربية » يقصد منه تحديد الاتجاه الثقافي الذي ينبغي أن توجه اليه الناشئون . ووصف الأستاذ سامي عاشور تصرف الادارة الثقافية بالتفرد والاستبداد وأنها حلت بذلك محل المستعمرين الذين كانوا يستبدون بالأمر في توجيه التعليم بالبلاد العربية على رغم هواهم الاستعماري ، واقترح موضوعا آخر هو مكافحة الأمية في البلاد العربية . ورأى الأستاذ شفيق غربال بك أن يعدل الموضوع الأول من موضوعي المؤتمر بحيث يكون « ما العقبات التي تعترض التوسع في التعليم وما وسائل تذليلها » وأن يبقى الموضوع الآخر كما هو ، وهو « الإعداد للحياة العملية »

وأوضح الاستاذ ابراهيم اللبان الفرق بين طرق التربية وروح التربية وبين أهمية الثاني ، ولاحظ أن الموضوعين المعروضين لا يتجهان إلى روح التربية ، ودعا إلى أن يبحث المؤتمر كيفية خلق المواطن العربي الصالح .

وقال الأستاذ سعد اللبان إنه يلاحظ أن موضوعات هذا المؤتمر ، وكذلك المؤتمر الأول ، كلها موضوعات مدرسية ، وأن هناك ما أهم من هذه المدرسيات ، وهو الشؤون الأدبية والثقافة العامة ، لأن الثقافة الأدبية هي الرباط المتين الذي يربط بين شعوب العرب في بلادها المختلفة ، وقد كان قائماً قبل قيام جامعة الدول العربية .

وبعد ذلك قال معالي رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين بك أظن أنه من حق الادارة الثقافية بعد كل هذا الذي وجه اليها أن تدافع عن نفسها . وهنا تقدم الاستاذ سعيد فهيم وكيل الادارة الثقافية فأوجز الرد في أن الادارة لم تنفرد بالعمل وإنما أشركت معها كبار رجال التعليم في وزارات المعارف بالبلدان العربية ، وأن موضوعي المؤتمر وضعتهما اللجنة الثقافية التي تمثل الحكومات العربية ، وأن مجلس الجامعة العربية أقر جدول أعمال المؤتمر .

ولما كان الوقت قد تأخر فقد أعلن معالي الرئيس اختتام الجلسة على أن تجتمع في الصباح التالي الهيئة المشرفة على المؤتمر ، وهي تتكون من معاليه ومن رؤساء الوفود الرسمية ، على أن يتلو اجتماعها انعقاد الهيئة العامة للمؤتمر . وقررت الهيئة المشرفة أن يعدل الموضوع الأول بحيث يكون « ما العقبات التي تعترض التوسع في التعليم الثانوي والعالي وما وسائل تذليلها » وأن يبقى الموضوع الثاني كما هو ، ووافقت الهيئة العامة للمؤتمر على ذلك ثم أخذ في تأليف اللجان — فألفت كما ترى في « كشكول الاسبوع »

أريد بعد ذلك أن ننظر في تلك العاصفة التي هبت على الادارة

الثقافية وجدول أعمالها ، وما نشرته الصحف حول هذا الموضوع والذى أراه أن الادارة أو اللجنة الثقافية ؛ لم تكن موفقة فى الموضوع الأول — على نحو ما بينت فى الأسبوع الماضى — بل أقول إنه موضوع غير ذى موضوع ...

فنحن الآن لسنا بصدد البحث فى التوسع والتحديد وبأيهما نأخذ ؛ وما هى خطة ذاك ؛ وما الغرض من هذا ؛ فقد انتهينا إلى أنه لابد من تعليم الناس جميعاً . وليس لعامنا إلا العقبات المالية.

وأرى أيضاً أن الموضوعين تافهان وأوافق المعترضين على أن الموضوعات التى اقترحوها أهم من هذين الموضوعين ؛ ولست أدرى — كما قال الأستاذ سعد اللبان — لماذا يقصر المؤتمر أعماله على الموضوعات المدرسية ولا يهتم بالثقافة العامة . ويظهر أن اللجنة الثقافية عندما وضعت موضوع « التوسع فى التعليم » أو وافقت عليه ؛ لم يكن فى حسبانها أن الادارة الثقافية ستفرغ منه التحديد وتسأل عن خطط التوسع . ولو أن الادارة تفادت هذا الوضع الشائك الذى أثار الاعتراض لما ترتب على ذلك أن تغير الموضوع وصار موضوعاً آخر لم يسبق له تحضير .

ولكن هل الادارة الثقافية حقاً انفردت وارتجلت واستبدت ... وهل حقاً أيضاً أنها لا تمثل الحكومات العربية؟

هناك هيئات ثلاث: اللجنة الثقافية ، والمكتب الدائم يتألف من الملحقين الثقافيين بالمفوضيات العربية بالقاهرة . أما الادارة الثقافية فهى هيئة منظمة وهى قسم من أقسام الأمانة العامة للجامعة . نرى ذلك أنه هذه الهيئات ممثلة للبلاد العربية تمام التمثيل ، وهو لهذا لم تتعد اختصاصها ولم تعمل عملا كان يجب أن يقوم به غيرها ، وليس معنى توجيه المؤاخذة إلى عمل من أعمالها أنها دخيلة عليه منصوبة له بغير حق .

وثمة ثلاث ظواهر نلاحظ فى هذا الموضوع ، الأولى أن الحملة جاوزت حد القياس المعقول فقد بدت الرغبة فى الهدم والمعارضة بالحق وبالباطل ، وتتابع فى الكلام المتحمس الثائر جماعة ممن إذا دعوا لم يسألوا لأية حرب أو بأى مكان . والظاهرة الثانية هى انحصار هذه الحملة بين الأعضاء المصريين ، فلم يشترك

كشكول الأسبوع

□ تألفت فى المؤتمر الثقافى العربى الثانى المنعقد بالاسكندرية ، اللجان الآتية ، وهى الآن تواصل اجتماعاتها لتضع تقاريرها التى ستعرض على الهيئة العامة للمؤتمر .

١ — لجنة النظر فى العقبات التى تحول دون التوسع فى التعليم الثانوى والعالى ووسائل تذليلها ، ورئيسها الدكتور خالد توظق رئيس الوفد السورى الرسمى .

٢ — لجنة إعداد الطالب للحياة العملية ، ورئيسها الدكتور عبد العزيز الدورى رئيس وفد العراق

٣ — لجنة مراقبة تنفيذ قرارات المؤتمر الثقافى العربى الأول ، ورئيسها الأستاذ مدحت جمعه رئيس الوفد الأردنى.

٤ — لجنة شؤون الثقافة العربية ووسائل تقويتها ، ورئيسها الأستاذ محمد شفيق غربال بك رئيس وفد مصر.

٥ — لجنة تعليم أولاد اللاجئين الفلسطينيين وإغاثتهم ، ورئيسها الأستاذ ادوارد أبو جودة رئيس الوفد اللبنانى .

ويضم كل من هذه اللجان عضواً من كل وفد رسمى ومن رغب فى الانضمام إليها من أعضاء المؤتمر .

□ اجتمعت لجنة الثقافة العربية وقررت أن تتفرع إلى لجنتين إحداها لدراسة مقومات الثقافة العربية وخصائصها وتصوير موقفها الحاضر برياسة فضيلة الأستاذ محمود شلتوت ، والأخرى لبحث الرسائل العملية التى تعين على أحياء الثقافة العربية وتنميتها ونشرها برياسة الأستاذ أحمد حسن الزيات

□ تبين للجنة تنفيذ قرارات المؤتمر الأول الادارة الثقافية لم تتلق غير تقريرين من تقارير الحكومات العربية فى هذا الشأن ، وهى من مصر وشرق الأردن .

□ أكثر الوفود عدداً فى المؤتمر هو وفد سوريا ويتكون من نحو مائة ، نصفهم من السيدات والآنسات ، ومن بينهن الكاتبة الأديبة المعروفة السيدة وداد سكاكينى .

□ تنشر مجلة « العصور الحديثة » التى يصدرها فى باريس جان بول سارتر ، ترجمة كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » للاستاذ توفيق الحكيم . ومما يذكر أن يوميات نائب فى الأرياف نشرت لأول مرة فى مجلة « الرواية » التى كانت تصدرها دار الرسالة .

فيها أحد من سائر الوفود العربية ، بل وقفوا منها موقف الشاهد المتفرج ، يستغربون أحيانا ، وأحيانا ينطبق عليهم القول المأثور « من يسمع يخل » فيوجهون اللوم إلى الادارة الثقافية حتى فيما لا تملكه ، أولئك الذين تتملكهم شهوة الكلام فيهرعون إلى المنصة ليخطبوا . ولا يدرى أحد ماذا يريدون .

أما الظاهرة الثالثة — وهى ثالثة الأثافى — فهى ما نشرته بعض الصحف اخباراً وتعليقات . نشرت هذه الصحف أولا أن وفد مصر هدد بالانسحاب من المؤتمر ، مع أن المسألة لم تعد ملاحظات من جانب الوفد وقبول لهذه الملاحظات من جانب الادارة الثقافية ، فلم يصل الأمر إلى أزمة ولا إلى تهديد بانسحاب. والعجيب أن جريدة كبيرة متزنة كالأهرام تخرج على ما عرفت به فتنشر أخلاطاً من الكلام تصور الموقف على غير حقيقته ، إلى ما فيها من الخبط الأعشى ، فما قالته أن الجانب المصرى غير راض عن طريقة تأليف اللجنة الثقافية وأعمال الادارة الثقافية ، وأن وزارة المعارف تبحث الآن أمر الموظفين الذين يمثلون مصر فى اللجنة الثقافية والادارة الثقافية على أساس أن وجودهم فى هذه المناصب لم يعد متفقاً وسياسة الوزارة فى الوقت الحاضر !

ليس هناك موظفون فى اللجنة الثقافية يمثلون مصر ، حتى تفكر وزارة المعارف فى أمرهم ، فموظفو الأدارة الثقافية تابعون للامانة العامة وهم كسائر موظفيها لا يخضعون للحكومات ، أما اللجنة فتتكون من أعضاء لا من موظفين . ومن ذلك الخلط أن يقول المراسل إن تأليف لجنة للثقافة العربية بعد تجاهلا سافراً للجنة الثقافية بالجامعة العربية ! واللجنة الأولى من لجان المؤتمر ألفت لبحث موضوع معين ، فأين هى من اللجنة الثقافية العامة الدائمة ؟

والخطير فى الأمر أن تصور وزارة المعارف على أنها خصم للادارة الثقافية . وليس هذا معقولا ولا لائقاً . فوكيل وزارة المعارف الأستاذ شفيق غربال بك هو والذى يرأس اجتماعات اللجنة الثقافية . ومما يذكر أن معالى وزير المعارف يبدو على كرسى رياسة المؤتمر فوق كل هذه المنازعات ، وهو يدير الجلسات بروح ودى للجميع .

وقد عرض على المؤتمر قرار الهيئة الشرقة بصيغة الاقرار لجدول الأعمال كما أعدته الادارة الثقافية ، ولكن بعض الأعضاء ثاروا وأبوا الا أن ينص على أن الجدول معدل ، فكان عند رغبتهم ، هذا يدل على حيدته بل على مجاملته للادارة الثقافية .

بقى أن أسأل : من الذى يوحى إلى مراسل الصحف وإلى فرسان المعارضة فى المؤتمر بأن وزارة المعارف جبهة ضد الادارة الثقافية ؟ هل هناك تدبير لهذه الحركة أو هى حركة (شيطانية) وأن كل تلك الظواهر محض اتفاق ؟!

محاضرات المؤتمر :

كانت أول المحاضرات العامة التى نظمها المؤتمر الثقافى ، محاضرة الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى « تحقيق موضع سوق عكاظ » وقد ألقاها يوم الأربعاء الماضى . قال فيها إنه بحث أثناء إقامته بالحجاز عن موقع سوق عكاظ ، وقد هداه البحث إلى موضع يقع جهة الشرق من الطائف على مسيرة يوم منها وثلاثة أيام من مكة . وقد طبق على هذا الموضع ما ورد فى الكتب من أوصاف سوق عكاظ ، فوجدها مطابقة له .

وألقى بعده الدكتور محمد البهى محاضرة موضوعها « الطابع القومى فى الثقافة الأزهرية » شرح فيها مذهبى القومية والعالمية اللذين يختلف فيهما علماء التربية ، وأورد حجج كل من الفريقين ثم رجح مذهب القومية ، وخلص من ذلك إلى تأييد جانب الدراسات الاسلامية والعربية التى يقوم بها الأزهر باعتبارها الثقافة القومية التى يجب أن تسود . ويخيل إلى أنه اضطر إلى ترجيح القومية ليخلص إلى هذه النتيجة ، وما أراه كان بحاجة إلى ذلك ، فالاسلام دين عالمى ، ودعوته دائمة عامة ، وإذا كانت المذاهب الاجتماعية والسياسية السائدة فى العصر الحديث تدعى لنفسها صفة العالمية وتدعو العالم إلى اعتناقها ، فكذلك الاسلام من حيث هذه الناحية .

وألقى أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات محاضرة يوم السبت عن « حاضر الأدب العربى » وقد حلى بها صدر هذا العدد من « الرسالة » .

فكاهة

خمس وست ، سبعة أو تسعة قولان ؛ قالها الخليل وثعلب !

كتب الصديق المحترم الدكتور محمد يوسف موسى ، في « الأهرام » يقترح : « توحيد المدرسة » وقام الأزهريون وقعدوا ، وانشعبوا فريقين ، بين ناقد ، ومؤيد ، بتحفظ وبغير تحفظ ... وما أشد شهوة الكلام عند المثقفين بعامة ، وعند الأزهريين بخاصة ! وكتب خبيث في عدد ٨٩٣ من الرسالة بتوقيع « أزهري عجوز » وكان رأيه : « سمك ابن عمر هندي » ؛ وبعلم الله ما أراد بمقاله وتوقيعه ، على أنه أصاب بعض هدفه ، عامله الله بما يستحق !

وأرجو أن تسمح لي الرسالة ، فأدخل — لأول مرة — خصما ثالثا في قضية الإصلاح الأزهري ، في إيجاز « برق » خاطف :

فكرة « توحيد المدرسة » بتعليلاتها الحديثة ، فكرة قديمة ؛ خامرت أول ما خامرت ، المغفور له الإمام الراعي ، في مشيخته الأولى ، وهم بتطبيقها فعلا ، ثم بدا له . واستغفر الله من أنا كنا من دعاتها ومحبذيها ! ذلك بأن المدرسة المدنية في شتى أنواعها ، ما تزال في طريق الاصلاح والتهذيب ، وما تزال أكثر نظمها في حاجة إلى إعادة النظر ؛ وما تزال تستهدف لضروب من النقد لا تقل في قوتها عن نقد الاصلاح الأزهري في أسوأ ضروبه

على أننا لو سلمنا بصلاح الفكرة ، لن نسلم أبدا أبدا أبدا ، بأن الظرف الحاضر ، ظرف مناسب للدعوة إليها ، ولا للاستجابة لها ! أليس كذلك يا دكتور موسى ؟ !

وفي النفس حاجات ، وفيك قطانة

سكوتي جواب عندها وسؤال .

وقرأت في عدد الرسالة ٨٩٤ مقالين لتلميذين من تلاميذي : أولهما : اللغة العربية والإسلام في الداغستان ، لولدي النابه النبيل الأستاذ برهان الدين الداغستاني خريج كلية اللغة العربية ؛ وثانيهما : الأزهر والاتجاه الحديث في التربية ، للطالب في معهد التربية من كلية اللغة العربية ومن أبنائي المعربين ... !

وبمقدار فخري بالأول ، كان خجلي للثاني ... وهو الذي ذكرني بالبيت الذي جعلته عنوانا لهذه الكلمة ؛ ونصيحتي إلى ولدي الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد ، أن ينجح أولا ثم يكتب بعد أن ينجح ان شاء الله في الدور الثاني في إصلاح الأزهر ، وأطمئنه على أن الأزهر لن يصلح قبل نجاحه أبدا ، ولا في طيارة والأستاذ عبد الحليم أولى الناس بقبول نصيحتي ، إذ تجمعني وإياه فوق رابطة كلية اللغة والأزهر ، رابطة « البلديات » !

أما بعد ، فلعل خير ما أختم به هذه الكلمة ، أن أضرع — في رجاء — إلى كل كاتب في « إصلاح الأزهر » أن يرحم الأزهر وأهل الأزهر المساكين ، من هذا الهوان الذي يصب على عمائمهم كل يوم باسم « إصلاح الأزهر » من طلاب معاهد الأقاليم ، ومن أولاد « الكتاتيب » ومن أمثالي الجهلة الذين يرون الإصلاح كل الإصلاح في « إلغاء العلم » حتى يستريحوا من طلبه ، ومن

وألقى بعده الأستاذ واصف البارودي محاضرة عنوانها « الشباب وأزمة الثقافة » وقد عرف فيها الثقافة بأنها التوازن بين الناحية العملية والناحية النظرية ، وعندما سار في المحاضرة لم يأبه لهذا التوازن ، بل رجح الجانب العملي ، فقلل من قيمة العلم والذكاء بالنسبة إلى العمل والمهارة فيه ، وذهب إلى أن الذي لا يوافق قوله عمله لا يعد مثقفاً مهما كانت معلوماته وذكاؤه . وقد غالى الأستاذ في ذلك ، حتى خلناه يعد الثقافة من الحرف والصناعات وحتى انه عندما بين مظاهر أزمة الثقافة عد منها « البطالة » وكان الأستاذ يرتجل في أسلوب لا بأس به ، ولكن لو أنه كتب المحاضرة لكانت أجزاؤها وأفكارها أوثق ارتباط وأكثر تنسيقاً .

عباسي نصر

كد المعاناة فى تحصيله ! وأنا مع هذا الفريق ، ولكن لا يسمح لقصير رأى ! إذ ليست الصحف مكاناً مختاراً ، لعرض الآراء فى الاصلاح .

بقى أننا لا نستطيع أن نطلب إلى جميع الصحف أن تسعدنى فى إغلاق هذا الباب ؛ ولكن آمالنا فى الرسالة بخاصة تضاعف ثقتنا فى أنها ستتردد طويلا ، قبل ان تسمح بالنشر فى هذا الموضوع لكاتب ، يسمو مثلى بنفسه عن أن ينزل إلى مساجلته والرد عليه.

وأكون شاكراً لو تفضلتم بنشر كلمتى هذه — حرفياً — تحت مسئوليتى .

عبد الجواد رمضان

المدرس فى كلية اللغة العربية

الى الأستاذ عباس خضر

قرأت فى (الرسالة ٨٨٧) بشغف الآراء المتبادلة بينك وبين الأستاذ سيد قطب فوجدت خلالها ما تشوبه وما يشوبه من ألم حين يقارن الشرق المتلكىء بالغرب المقدام .

وأظن وصف الشرق « بالمتلكؤ » والغرب « بالمقدام » هو وصف عادل منطبق على الواقع، على رغم الأوصاف المتداولة على الألسن عن روحية الشرق ومادية الغرب . فالذى شاهدته فى الوطن المسكين وما أراه هنا ، فى طباع الناس واتجاهاتهم فى الحياة ومقدراتهم فى الذكاء !] ... يدفعنى أن أقول جازماً الا فرق بين الرجلين . أما الثروات الطبيعية فيوجه منها فى الغرب ما يوجه مثلها فى الشرق .

على أن الفرق الذى يلفت الأنظار هو أن كل فرد فى امريكا خادم إن لم يكن المجتمع فهو خادم لنفسه ؛ أما هناك فكل فرد سيد ... على الجميع ... إلا على نفسه !!

فالأمريكى ، مهما بلغت درجته ومنزلته ، فهو عامل يشتغل فى محل ما ، أو بشىء ما . ولا زلت اذكر (بول) الذى كان يغسل معنا الأوانى ويكنس الأرض . وهو عميدنا بجيرة (تاهو) ولم نعرف أنه دكتوراه فى الفلسفة ؛ وكان صعباً علينا ، بعدئذ ، أن نسميه باسمه الأخير دكتور ريتولد « بعد أن تعودنا مخاطبته باسمه الأول (بول) . ولن أنسى طبيب الأسنان المتقاعد فى « مزولاً » بولاية « منتانا » الذى كان يجمع الأخشاب الطافية فى النهر ويعدها للحرق فى الشتاء !

هذه بعض الأمثلة عن أمريكا ... فماذا عن الشرق ؟

سلام على العراق وأهله . . فلا زلت أسأل أصحابى عن أصحابى فإذا فلان « بطال » والآخر « لم يجد عملا إلى الآن » والثالث « ينتظر .. » . وأذكر أن بعض طلاب اعدادية التجارة وهى مدرسة داخلية ببغداد كان يجد حطاً من كبريائه إن هو غسل الشوكة واللعقة التى يأكل بهما .. والطالب الأمريكى يكمل دراسته الجامعية ونفقاته على الأجور التى يحصل عليها من غسل الأوانى فى مطعم ، أو تنظيف السيارات فى محطة بنزين !

وهذا (العمل) هو الذى جعل الفلاح الأمريكى يحصد زرعه بالقوة الميكانيكية ، ويحلب الأبقار بالكهرباء ، ويفرق بين الحليب والقشطة بالكهرباء ، ويملك فيما يملك ثلاجة وراديو أو تليفزيون وسيارة ومكائن للزرع والحصد . . و يملك بعضهم الطائرات لرش البذور أو المساحيق قاتلة الحشرات بواسطتها على ارضه ... والفلاح العربى المسكين لا يزال يستعمل الآلات التى استعملها اجداده قبل ألف سنة !

الفروق بين الشرق والغرب كثيرة تتلخص بكلمة واحدة: العمل ... العمل بأى شىء مهما كانت درجة الفرد ؛ وبغيره لا يمكن الاستفادة من « الرصيد » المكنوز .

ترى هل يقتبس الفرد العربى والشرق من الفرد الغربى اليوم كما اقتبس الغربى بالأمس ؟

وبعد فإشارة قصيرة إلى الأستاذ قطب ... اننا نسمع بين مدة ومدة همسات على صفحات الرسالة الغراء ولم نتشرف بلقياه على قرب المسافة بيننا وبينه .. أيتفضل الأستاذ باعطائنا عنوانه بواسطة هذا العنوان :

بركلى — كاليفورنيا

محمد تقى مهدى

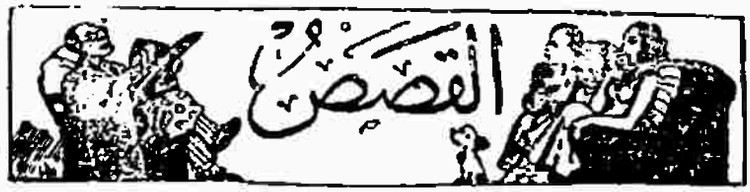

قصة من دون عنوان

مترجمة عن تشيكوف

بقلم الأديب كارنيك جورج

تشرق الشمس عند الصباح ، فتقبل أشعتها الانداء ، وتعيد إلى الأرض الرونق والبهاء ، فيمتلىء الجو بترانيم البهجة والآمال . وما إن يأتي المساء فتغرب الشمس حتى تلتف الأرض بالسكون وتغرق فى لجة الظلام .

هكذا الأيام تمضي أبداً متشابهة ، وبين حين وآخر تهب العاصفة أو يقصف الرعد أو يدوى صوت تهاوى نجم من نجوم الفلك ، أو ينطلق أحد الرهبان ليخبر رفقاءه عن أمر شاهده قرب الدير ! وهذا أغرب ما يحدث .. ثم تتتابع الأيام متشابهة ..

كان أكبر الرهبان فى الدير يجب العزف على القيثار وقرض الشعر اللاتينى فى إجادة فائقة. وحين يعزف على قيثاره يخلب ألباب سامعيه من الرهبان ، حتى أن الذين أضعفت الشيخوخة حدة أسماعهم كانت الدموع تتبلور فى مآقيهم عند سماعه. وفوق هذا يمتاز هذا الأب بظاهرة أخرى ، فهو إذا تحدث ملك المشاعر وجذب الأسماع ، حتى ولو تحدث فى أتفه الأشياء . إذ تتغير سحنته حتى تبدو كأنها تفصح عما يريد قبل أن يقول ما يريد بلسانه . فيحمر وجهه ، وترتفع نبرات صوته ، فيصمت الرهبان مأخوذين ، وهم يشعرون بسيطرة هذا الأب عليهم ، ولا يريدون منها خلاصاً ، بل يتركون زمام أنفسهم لصوته يمضى بها كيفما يريد .

فى بعض الأوقات يدب الملل فى قلوب الرهبان ، ويسأمون رؤية الأشجار والورود ، والخريف والربيع ، وتمل أسماعهم هديل الطير وخرير الماء ، بيد أنهم لا يسأمون غناء هذا الأب ولا يملون أحاديثه !

مضت أعوام كثيرة والرهبان يعيشون حياة مستقرة لا جديد فيها . فى ديرهم البعيد عن مساكن الأحياء بمقدار سبعين ميلاً أو أكثر . لذا فلم يقترب من الدير غير الطيور البرية والحيوانات المختلفة ، أما أبناء آدم فلا يقترب منهم إلا من زهد فى الحياة . وثاق إلى تلك الحياة الشبيهة بالموت .

فى ذات ليلة ردد الدير صوت دقات على الباب ! فاذا برجل يدلف إلى الداخل ؟ فيتبين الرهبان من منظره أنه من المدينة ، وأنه من محى تلك الحياة الصاخبة فاشتد عجبهم . وقبل الصلاة والتماس بركات الأب الأعلى طلب الرجل بعض الطعام والنبيذ ، فأتوا له بما طلب ، وإذ سألوه عن سر قدومه إلى الدير ، قص عليهم قصة طويلة . ذكر فيها أنه خرج للصيد فأمعن فى السير أوغل فى الصحراء حتى ضل طريقه ، واهتدى إلى الدير . وإذ ذاك شرع الرهبان يرغبونه فى البقاء معهم ، بيد أنه أجابهم وهو يبتسم :

— أنا لا أصلح لهذه الحياة

وبعد أن أكل وشرب ، نظر حوله وتأمل الرهبان القائمين على خدمته ثم هز رأسه وقال : — انكم أيها الرهبان ليس لكم غير الأكل والشرب ، والصلاة والعبادة . فهل هذا هو سبيل الحياة ؟ وهل بهذه الطريقة تريدون محاربة الشر والرذيلة ؟ وأنتم منزوون فى هذه الصحراء ؟ ... فكروا قليلا فى وضعكم الحالى ، فأنتم تقيمون بعيداً لا يشغل بالكم شىء . تأكلون وتشربون وتمرحون ، وتعيشون سعداء فى حين يتردى سائر الناس فى المهالك ، ويتعثرون فى طريق الرذائل ، ويمضون وراء الشيطان ذلك الذى تحاربونه ! ينبغى لكم أيها الآباء أن تمضوا إلى داخل المدينة ، وتقفوا بأنفسكم على ما يحدث فيها . إنكم سترون الجائعين والمساكين إلى جانب الناعمين المترفين الذين بنوا لكون على الرذائل والفجور ! حتى لقد خمد فى قلوب الناس نور اليقين فخلت نفوسهم من الايمان ! من هو المسئول عن هذا كله . ومن الذى يجب أن يرشدهم ويهديهم إلى السبيل القويم ؟ أنا ؟ لا ، بالطبع ، فأنا مثلهم ولست بأرفع منهم أبداً .

ارتفعت كلمات الرجل الغريب جارحة ساخرة. فأثرت تأثيراً كبيراً في نفس الأب الأعلى. فتغير لون وجهه وقال يخاطب الرهبان:

انه يقول الحق أيها الاخوان، فالواقع أن الناس هناك قد ضعف إيمانهم بالله، فانغمروا في الخطايا، فيجب أن أذهب اليهم وأقوي إيمانهم واذكرهم بأقوال المسيح عليه السلام»

وفي اليوم التالي تناول الأب الأعلى عكازه وودع أصحابه وتلمس الطريق إلى المدينة؛ تاركا سائر الرهبان محرومين من شعره وموسيقاه وأحاديثه الطلية، فقضوا شهراً مملا مضجراً، ثم قضوا شهراً آخر دون أن يعود اليهم الأب الأعلى حتى كادوا ييئسون من عودته، وبعد انقضاء ثلاثة أشهر ردد الدير صوت دقات الباب فهرع الرهبان اليه، وأحاطوه من كل جانب يسألونه ويستفسرون عن سبب تأخره ولكنهم فوجئوا إذ رأوه يبكي .. دون أن ينبس ببنت شفة! وكان في وقفته وفي هيئته يبدو كأنه غاب سنين عديدة رأنه عاد بالرغم عنه ولكن الرهبان لم يفطنوا إلى ذلك فبكوا لبكائه وترفقوا في التحدث معه، فاذا هو ينسل من بينهم، ويدخل صومعته الخاصة، ويبقى سبعة أيام فيها دون أن يأكل أو يشرب ودون أن ينقطع عن البكاء .. وكان طيلة تلك المدة يقابل توسلات الرهبان بالاعراض والصمت. بعد ذلك خرج اليهم وتوسطهم ثم طفق يروي لهم ما شاهد في المدينة، ووجهه يعبر عن حزن عميق قال لهم انه حين فارق الدير صافح أذنيه صوت الطيور التي أنشأت تغني له وتتطاير حوله، فجاشت في نفسه أحلام الشباب وآمال العمر، فراح ينظم الشعر ويغنيه. وهو يخال نفسه جندياً يذهب إلى معركة الفوز فيها مضمون لا شك فيه. حتى انه لم يشعر بأي تعب عندما دخل المدينة ...

وخفت صوته ولاح بريق الحنق في عينيه عندما أخذ يتحدث عما لاحظ في تلك المدينة، وقال انه رأى ما لم يكن يتصور أبداً طبيعة حياته. فقد بدت له قوة الشيطان بأوضح معالمها.. وتكشفت له فتنة الشر وتوقف على ضعف الانسان وحيوانيته وجنونه ...

فقد دخل أول ما دخل المدينة أحد البيوت التي تمج بأوضع الرذائل! فرأى نحو خمسين رجلا يأكلون ويشربون بنهم شديد وإذا لعبت الخمر برؤوسهم ارتفع أصواتهم تضج بأغنية مثيرة الكلمات وقحة المعاني! فبدوا للراهب الزاهد كأنهم لا يخافون الله ولا الشيطان ولا حتى الموت! فيغرقون في المجون إلى أبعد حد ممكن.

حتى النبيذ بدا للراهب كأنه يبسم لابتساماتهم. ويضحك لضحكهم وأنه يشاطرهم ذلك المجون الساثر الوضيع. فقد كان يزداد إشراقاً ولمعاناً كأنه يشعر بالفتنة الكامنة في أعماقه. فلا بدأنه كان حلو المذاق لذيذاً؛ يسطع بالروائح الذكية.

استشاط الأب الأعلى غضباً وانقدت عيناه واستطرد يقول أن ثمة امرأة نصف عارية وقفت وسط أولئك السكارى تتضاحك وتتراقص وتكشف عما أمر الله بستره، وتبدي جمالها الرائع وكانت سمراء اللون ممتلئة الشفاه لا تعرف اسم الحياء ولا معناه تتضاحك في وقاحة كأنها تقول «أيها الناس لا تخجلوا، أن حجابي فريد من نوعه» ثم راحت تشرب الخمر وتغني وتمنح نفسها لكل من يمد يده اليها.

توقف الأب الكهل، وهز قبضة يده وشرع يصف ساحات سباق الخيل ومصارعة الثيران ودور التمثيل وأماكن الرسامين الذين يرسمون النساء عاريات كما ولدتهن أمهاتهن .. واستمر يتكلم بلهجة متدفقة ساحرة الجرس، حتى جمد الرهبان وتملكهم تلك السيطرة التي تتملكهم كلما سمعوا أحاديث هذا الأب ... وبعد أن تكلم الأب الأعلى عن أوكار الشياطين وأماكن الشرور، أو بين جمال المرأة المخيف المريع، وعاد يسب ويشتم أو يصب اللعنات على الشيطان مصدر كل هذا الوبال. ومن ثم قام ودخل صومعته واقفل الباب خلفه!

وعند ما فتح الباب وخرج من الصومعة في صباح الغد، بحث عن اخوانه الرهبان فلم يجد لهم أثراً. فقد هرب الجميع إلى المدينة!

بغداد — كارنيك جورج

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء سنة ١٩٥٠ و١٩٥١

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الشتاء المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى الاقبال على الاعلان فيها شديد — ولزيادة الاستعلام اتصلوا —

بقسم النشر والاعلانات — بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة